الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة
معهد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع.....

منـــابع الإلـهـــام الشعـــري عند أبي القاسم الشابي من خـــلال ديوانه " أغـــاني الحيـــاة "

مذكّرة مقدمة لنيل شهادة اللّيسانس، في اللّغة والأدب العربي.
تخصص: أدب عربي.

إعداد الطالبتيـــن:

* فطيمة الـزهـراء بويـزار.
* فضيـــــلة بـــــــارة.

إشراف الأستاذ:

* عمـــــار قرايري.

السّنة الجامعية:2013/2012

دعـــاء

اللّهـم إذا أعطيتنـا نجـاحـاً فلا تـــأخـــذ **تـــواضعنـــا**

و إذا أعطيتنـا تـــواضعـاً فلا **تـــأخـــذ اعتـــزازنـــا بكـــرامتنـــا** – صلى الله على نبينا محمد و على آله و أصحـابه الأخيـــار و سلّـــم تسليـــماً كثيـــرا.

اللهم إننا نســألك خير المسـألة و خيـر الـــدعـــاء، و خيـــر **النجـــاح**

و خير العـلم، و خيـــر العمـــل و خيـــر الثـــواب

شكـــر و عـــرفـــان

هـــو الله لا إله إلا هو نحمده و نشكـره العـــزيز الحكيـــم

على تـــوفيـــقه لنـــا في هـــذا العمـــل المتـــواضع.

كمـــا نتقـــدم بالشكـــر الجـــزيل و التقـــدير و العـــرفـــان

لأستـــاذنا الفـاضل " عمـــار قـــرايري " لمـــا بذله معنـا من جهـــد

في إشـــرافه على مـــذكرتنا و مـــا أمـــدّنا به من

عـــون و نصح و تـــوجيه، فجـــزاه الله عنـــا كل خيـــر

و وفقـــه إلى ســـواء السبيـــل

كمـــا نوجـــه الشكـــر إلى كل من **الأستـــاذ "سفـــاري "**

و الأستـــاذ " بوعجـــاجة سليـــم " **اللـــذان لم**

يبخـــلان علينـــا بشيء

مقـــدمة

مقـــدمة:

إن العمل الشعري لا يقصد به مجرد التعبير بل يتعداه إلى رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال في مجدان الآخرين، والفرق بين الشعر والنثر ليس فقط في الوزن والقافية، بل في طريقة استعمال اللغة، فالكلام النثري إخباري مرسل، والكلام الشعري إيحائي تخيلي يقوم على التخيل والإلهام والإبداع الذي يعبر به الشاعر عن كل إحساساته ومكنوناته.

ويتناول هذا البحث منابع الإلهام الشعري عند إحدى تجارب الرومانسيين في المغرب العربي (تونس) فما كان لنا إلا أن نقف عند أحد هؤلاء الشعراء الذين كانوا بوابة التجديد في الكلمة والمعنى وأعطوها لحناً ونغماً جديداً، إنه الشاعر " **أبو القاسم الشابي** " الذي كان رومانسي في عباراته وفي خياله، في اندماج روحه بالطبيعة، في تأمله للكون في هروبه إلى الغاب ، وفي تقديسه للمرأة، في نزعته الإنسانية، فهو الشاعر الذي هتفت له الجماهير ومجّدته أقلام الكتاب، ورغم أن المني خطفته مبكراً وهو لا يزال في ريعان الشباب، إلا أنه أعطى للشعر العربي مكانة مرموقة، فموضوع " منابع الإلهام الشعري عند "أبو القاسم الشابي" من خلال ديوانه " أغاني الحياة " كان اختياره رغبة منا وليس اعتباطيا بل لأسباب عدة تتجسد في النقاط التالية:

- ✓ أهمية المادة المكونة للنص الشعري والمتمثلة في منابع الإلهام عند الشابي.
- ✓ أهمية الشخصية الرومانسية التي دعت إلى شعر يتماشى ويتطور مع تطور الإنسان عبر مختلف العصور، ولا يبقى مقيداً خاضعاً لماضيه.
- ✓ التهميش الذي لقيه الشابي في مجتمعه.
- ✓ البحث عن خفايا الشعر العربي التونسي ومعرفة منابع إلهامه التي وصل بها إلى أبعد الحدود.

و الإشكالية المطروحة هنا: أسباب بروزه في مجتمع خامل عموماً يعاني ويلات الاستعمار، فهل هناك دوافع وأسباب ومنابع دفعت به إلى البروز والتفرد ؟

واستناداً إلى ما تقدم ضم البحث ثلاث فصول، مُهِّد لها بمدخل وانتهى بخاتمة اشتملت على نتائج البحث، فالفصل الأول عرضنا فيه حياة الشابي وشخصيته وأهم مؤلفاته وخصائص ومراحل شعره.

أما الفصل الثاني فقد ارتأينا أن نوضح قراءة في ماهية العنوان، ثم المؤثرات الفكرية الداخلية والخارجية لشعر الشابي من خلال ديوانه " أغاني الحياة ".

وأما الفصل الثالث والأخير فقد تطرقنا فيه إلى مصادر إلهام أفكار الشابي من خلال الديوان.

حيث اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على ديوان " الأعمال الكاملة " وديوان " أغاني الحياة "، إضافة إلى مراجع أخرى رأينا أنها ضرورية للدراسة.

وإذا كان لا بد من صعوبات يواجهها الباحث فهي صعوبة الإلمام بالمادة المعرفية لاتساعها وتشعبها في اتجاهات شتى إضافة إلى نقص في بعض المصادر والمراجع المطلوبة، وما كان من هذه الصعوبات فقد وفقنا بمعونة الله وكذلك للتعاون الكبير من طرف أستاذنا المشرف الذي نوجه ونجدد شكرنا له ونشكر كل من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد وخاصة معهد الآداب واللغات الذي لم يبخل علينا بنصيحة أو معلومة، ونسأل الله التوفيق، فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فمن الله التوفيق.

مـــدخل

مدخل:

إن أغلب البحوث تتناول ظواهر فنية في إبداع شعراء أو كتاب أو ملامح فكرية في إنتاجهم أو تدرس اتجاها في شعر بيئة عربية أو ترسم ملامح للحركة الشعرية في بيئة أخرى.

ولهذا فقد اجتمعت العديد من الظواهر المختلفة معا لتدفع الشعراء إلى الاهتمام بالمعاني العامة التي لا تحتاج إلى عمق تفكير أو صدق انفعال واستحال الشعر إلى صناعة ذهنية تشبه الصناعات اليدوية التي تحتاج إلى مهارة يد الصانع وحذقه، كما استحال إلى وسيلة رخيصة لاكتساب الرزق، يقوم على استخدامها غير ذوي المواهب الحقيقية إلى جانب الموهوبين الذين قعدت بهم ثقافتهم المحدودة و لغتهم المبتذلة عن التحليق والإبداع.

ولهذا: « فإن الشاعر العربي إذا ما أراد أن يبسط فكرة من أفكاره ألقاها في بيت فرد أو في جملة واحدة إن استطاع، ثم أنهل بوابل من الأفكار المتتابعة بحيث تكون القصيدة كحدائق الحيوان فيها من كل لون وصنف أو كالأرض المقدسة التي يحشر فيها الناس من كل أوب وهوب ومن كل فئة وقبيل، وتكون الأفكار منبثة في صعيد واحد متماسكة بعضها من الرؤوس والبعض الآخر من الأذناب»[1].

« ومن ثمة فإن كل شاعر عربي رومانسي النزعة ظهر في فترة ازدهار الشعر الوجداني في فترة ما بين الحربين العالمتين على درجة الخصوص، له عالمه الخاص ورؤاه وصوره وموسيقاه ومعجمه الشعري »[2].

حيث نجد أن الشاعر الرومانسي قد التفت إلى الطبيعة من خلال عواطف الشاعر والتأمل العميق في الناس والحياة والسعي وراء المثل الأعلى الذي ينشده الرومانسي في عالم غير منظور، كما تسمح أنينهم الدائم وشكواهم من الزمان ويتخذون من مظاهر الطبيعة رموزا لأحاسيسهم وملاذا لغربتهم النفسية عن عالمهم الأرضي، فنجد من بين هؤلاء الشعراء

(1) محمد الأمين الشابي: الأعمال الكاملة لأبي القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984 القومية للنشر تونس، ج1، ص ص 112، 113.

(2) محمد هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، سنة1994، ص ص 117، 118.

الرومانسيين: الشاعر "جبران خليل جبران"، و"مخائيل نعيمة"، و"خليل مطران"، و"شكري" و"العقاد"، إضافة إلى الشاعر التونسي: " أبي القاسم الشابي "، هذا الأخير الذي دعا صيته في الوطن العربي حيث جدد في الكلمة والمعنى وأعطاها لحنا ونغما جديدا، فكان رومانسيا في عباراته وفي خياله، في اندماج روحه بالطبيعة وفي تأمله للكون، في هروبه إلى الغاب، في تقديسه للمرأة وفي نزعته الإنسانية.

إذ يعد أبو القاسم الشابي: شاعر الحب والحياة، شاعر الحب والثورة، شاعر الحياة والموت، شاعر التجديد في عصره، شاعر الطبيعة وكاتب "أغاني الحياة" و"الخيال الشعري عند العرب".

حيث تعلم أصول العربية في الحادية عشرة ودخل كلية الزيتونة في بداية الثانية عشرة فنال شهادة "التطويع" ونظم باكورة قصائده وهو ابن الرابعة عشرة، كما قرأ أمهات الكتب العربية وبعض الترجمات الأجنبية يافعا فتغنى مع الأطيار، وناجى النجوم، وطرب لخرير الماء، وحنا على الورود والأزهار، ورافق حفيف الأغصان، وراقب نسيم الغاب فأخرج أروع النظم وأجمل القصائد في وصف الطبيعة وسحر الوجود، فأحب الحياة وخص الوطن بشعره.

وقال: "إرادة الحياة"، فكان لحنا فريدا وأغنية ثائرة ترددها الأجيال، قاد حركة طلاب الزيتونة التي كانت تهدف إلى إصلاح المنابع التعليمية وله الفضل في تأسيس "جمعية الشبان المسلمين "في تونس، كما ساهم في تأسيس النادي الأدبي في العاصمة ونادي الطلاب بتوزر.

وقد تميز رغم قصر حياته بما تركه من شعر خالد ونثر متلألئ داعيا إلى الإصلاح والتجاوز نحو فجر الحرية والكرامة والاستقلال للبشرية.

هذا هو أبو القاسم الشابي الشاعر الذي فجر كل مشاعره وأحاسيسه في كتابة الشعر والنثر، فهو من الشعراء الثلاثة الذين قضوا قبل الثلاثين، مات في الخامسة والعشرين من عمره، فقد فاق حين أبدع وحلق في نزعته الرومانطقية حين أصغى إلى قلبه ووجدانه، وعبر عن بيئته وعصره أجمل تعبير، "إذ لم يرزق شاعر محدث من الشهرة ما رزقه الشابي الشاعر التونسي في السنوات القليلة الماضية.

فقد لهجت بذكره وتمجيد أقلام الكتاب والنقاد، وخيالات الشعراء في أراء الوطن العربي الكبير، وتغنى بأِشعاره كل بلبل سداح يبعثها لحنا على أمواج الأثير.

وقد أخذت الدراسات حوله طريقها من شتى بقاع العالم العربي تحلل شخصيته وتجمع شتات أخباره وأشعاره. وتقارن بينه وبين عداه من الشعراء[1]، " وهي في ذلك قد تصيب وقد تخطأ ونصيب كل دراسة من الإصابة والخطأ شيء معهود مقدر، ولكن إذا كانت الدراسة منبعثة عن عاطفة أو رأي مستقر في نفس كاتبها منذ زمن بعيدا كان نصيبها من الخطأ أوفر وكانت أحكامها لا تلاءم مقدماتها، ونتائجها لا تتفق ومادتها"[2].

إذ بعض الكتاب قد اندفعت فيهم العواطف إلى تمجيد الشابي وجعله أسطورة في تاريخ الشعر العربي الحديث، قبل أن يطلع هؤلاء الكتاب على قدر كاف من شعر الشابي ، بل لقد ذهب بعضهم إلى حد قوله: كفى الشابي خلودا وشاعرية قوله:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر

وهذا الحكم إنما هو استمرار للأحكام النقدية المبنية على الانفعال السريع والإعجاب الخاطف والتي تتمثل في قولهم: "فلان أ شعر الشعراء"

وقد أصبح القدامى يرددون ذلك القول حتى صاروا الشعراء جميعا أشعر الشعراء[3].

فأصبح هذا الشاعر أكثر جدية وحكمة عند إصداره ديوانه الضخم "أغاني الحياة" فزاد معجبيه وأصبح شعره لون متميز من ألوان الشعر، في كل أرض وفي كل عصر.

ونستخلص مفهوم الشعر عند أبي القاسم الشابي من خلال قصيدته "قلت للشعر"

"أنت يا شعر فلذة من فؤادي تتغنى، وقطعة من وجودي

فيك ما في جوانحي من حنين أبدي إلى صميم الوجود

(1) محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، سنة 1994، ص ص 117،118.

(2) المرجع نفسه، ص 118.

(3) ينظر: محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث دار النهضة العربية للطباعة والنشر (بيروت)، سنة 1994، ص 118.

إذن فالشعر عنده هو الحياة كلها بصورها المعتمدة، فيه أحلام طفولته وطموح شبابه، فيه حبه للحياة، فيه تهيبه من الفناء، فيه غناؤه للنجوم وطربه لأناشيد الطيور، فيه ربيع عمره وخريفها وشتائها وصيفها، بل الشعر عنده هو قصة عمره كلها"[1].

كما يعرفه فيقول: "الشعر يا صديقي "تصوير وتعبير"، تصوير لهذه التي تمر حواليك مغنية ضاحكة لاهية، أو مقطبة واجمة باكية، أو داعية حالمة راضية، أو مجدفة ثائرة، أو تصوير لآثار هذه الحياة التي تحس بها في قلبك"[2].

هذا عن مفهوم الشعر في حين أن مفهوم الإلهام الشعري اختلف حوله بالشكل الدقيق بين الكثير من يشتغلون بهذا الحقل من المعرفة، وهذا امرئ القيس يؤكد على الصلة بين الجن وشياطين الشعر وبين الإلهام فيقول: « تخبرني الجن أشعارها فما شئت من شعرهن اصطفيت ففي عصر ما قبل الإسلام وما سبقته من عصور أخرى كان فيها الناس يعتقدون أن الشياطين هم اللذين ينطقون الشعراء أي أن لكل شاعر شيطان ولم يكتفوا بذلك، بل أطلقوا أسماء على شياطين مشاهير الشعراء القدماء »[3].

من القول يظهر لنا جليا ربط الشعر بجمالية التصوير، فالشاعر المميز هو من كانت له ميزة الشعر الجيد، حيث شبه قائل الشعر بالجن، دلالة على أنه ليس للإنسان العادي القدرة على الإبداع، ففي اعتقاده أن الشعر مرتبط بالجن دلالة شيء خارق للعادة، هذا التصوير كان في عصور ما قبل الإسلام، ومن ذلك أنهم أسموا مشاهير الشعراء بأسماء الجن.

وهذا ما يحيلنا على مفهوم الإلهام فهو يرادف لغة: **التلقين** تقول: "الله ألهمه الخير" أي لقنه إياه[4].

(1) فخري أحمد حسن طملية: أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه، ص114.

(2) المرجع نفسه، ص 115.

(3) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973.

(4) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: التراث في مؤسسة الرسالة ، طبعة فنية منقحة، مفهرسة، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 2005، الجزء 04، ص 80.

أما "ابن منظور"في لسان العرب فيقول أنه: « هو ما يلقي الروح" أو "أن يلقي الله في النفس أمرا يبعثه على الفعل أو الترك »[1].

والإلهام كمصطلح تصوف هو:

1- ما يلقى في الروح بطريق الفيض.

2- ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة.

3- يطلق الإلهام على: "**العلم اللّدني**" كما يبين ذلك "ابن القيم" بقوله: العلم الذني هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاما بلا سبب من العبد واستدلال ولهذا سمي لذنيّا"[2].

ومن الجو الذي كان سائدا آنذاك في بيئة "الشابي" تلك الظروف السياسية والاقتصادية التي كانت ملامحها في تلك المدارس الشعرية في العالم العربي، فالشعر التونسي كغيره من شعر العالم العربي صاحبه نوعا من الضعف والتكلف، حيث كثيرا ما لوحظ أن أغراضه بقيت كما هي لا جدة فيها، إلى أن ظهرت حركة الشباب في تونس أين برزت ملامح الشعر الجديد وأضحت تلوح في الأفق التونسي في السنوات العشر الأولى من مطلع القرن العشرين.

وأخذت المواجهة بين المحافظين والمجددين تتسع، وكما ذكرنا سابقا أن للرومانسية صداها العميق في الشعر العربي بما حملته من نسمات رقيقة، حالمة وأنغام سجية.

بالإضافة إلى تمردها الثائر، فكان من الطبيعي أن يحتضن صرختها شباب متطلع حالم بأفق مستقبلي جديد راغبا في الحرية منددا بالمساواة فكانت الرومانسية ملجأه(أبي القاسم الشابي) أين عبر فيها عن أفكاره التي هي حق له ولغيره من شباب تونس.

فكان القلم والحبر هما الطريقتان اللتان اتخذاهما "الشابي" عنوانا لرسالته، معبرا فيها عن آماله وآمال شعبه، فالمتأمل في ديوانه: " أغاني الحياة" يجد تنوعا في الموضوعات وكذا الطريقة التي صاحبته فكان منبره الذي حاول به الدفاع عن بلده بلغة القلم والحبر.

(1) ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صبح، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2006، الجزء12، ص 346.

(2) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين: الجزء 03، ص431.

الفصل الأول

الفصل الأول:

حياة الشاعر أبي القاسم الشابي

أولا: شخصية أبي القاسم الشابي

1- مولده ونشأته
2- شخصيته
3- ثقافته
4- وفاته

ثانيا: أهم مؤلفاته

1- أغاني الحياة
2- الخيال الشعري عند العرب
3- يوميات الشابي
4- رسائل الشابي

ثالثا: شعر أبي القاسم الشابي

1- خصائصه ومميزاته
2- مراحله
3- دوره في التراث العربي

أولا: شخصية أبي القاسم الشابي:

1- مـولده ونشـأته:

" في قرية الشابية إحدى ضواحي توزر الكبرى بلاد الجديد في الجنوب التونسي حيث المناظر الخلابة البلاد الجميلة وبساتين البرتقال ووسط الواحات الشاسعة والمياه الوفيرة والطبيعة الهادئة الحاكمة بالآمال العريضة.

ولد أبي القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي في آذار(مارس) سنة 1909م من أسرة عريقة ذات مجد عرفت في التاريخ التونسي منذ القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة"[1].

كان والد أبي القاسم الشابي ينحدر من أسرة الشابية و عندما تخرج من جامعة الأزهر بعد دراسة سبع سنوات في أوائل القرن العشرين وبعدها التحق بجامع الزيتون بتونس، فتحصل على ما كان يسمى بشهادة " التطويع"، فعين قاضيا شرعيا متنقلا في المناطق التونسية ولهذا كان أبي القاسم حديث عهد في هذه الدنيا يتنقل برفقة والديه حيث يستقر بهما المقام ولكن أبي القاسم الشابي لم ينعم قي قضاء سنوات طفولته في البلدة التي ولد فيها فكان لا يأت لزيارة هذه البلدة إلا عندما قضى فيها ثلاثة أشهر عند ختانه في الخامسة من عمره.

وبعدها أتى زائرا، ولهذا كانت جولة أسرة الشابي استغرقت حوالي عشرين سنة في بلاد تونسية مختلفة فمن "قابس" إلى "سليانة"، "فتالة" ومن مجاز هذه البلاد إلى رأس الجبل "فزغوان" وهكذا عاش أبي القاسم الشابي وسط أسرة عريقة محافظة لعاداتها وتقاليدها أكثر تماسكا بالدين الإسلامي [2].

" وهكذا بدأت رحلة أبي القاسم الشابي مع العلم والمعرفة منذ نعومة أظافره، وذلك حين ألحقه والده بالمدارس التقليدية "الكُتاب" وهو في الخامسة من عمره، فحرص على حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين"[3]، ورغم الجو المؤلم الذي كان يسود بلاد تونس بأفكار ثورية

(1) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009م، ص 12.

(2) أحمد حسن بسج: ديوان أبي القاسم الشابي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ص 05.

(3) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي شعره وحياته، ص 11.

وتحررية وجمود وبدع وخرافات وظلم وفساد ظهرت جمعيات فكرية وأدبية عديدة منها جمعية "قدماء الصادقية" وكان الشابي واحد من أعضاء هذه الجمعية[1].

ملاحظة: لقد اختلف الكتاب حول مولد الشاعر فالكاتب الجزائري ابن أبى شنب يذهب ويقول أن أبي القاسم الشابي ولد سنة 1910م، وذهب آخرون ويقرروا بأنه ولد عام 1908م، أما صديق الشاعر محمد الصالح المهيدي فقال بأنه ولد في 1909/02/25م، أما أبو القاسم محمد كرّو فيقول إن أسرة الشابي أخبرته بأنه ولد في: 1909/04/03م.

2- شخصيته:

" كان أبي القاسم الشابي نحيف الجسم، مديد القامة، قوي البديهة، سريع الانفعال، حاد الذهن تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاؤه « بشوشا، كريما، متأنقا طروبا لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية».

ويراه من لم يخالطه حييا محتشما ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلطائه في غير ما تحرج متى اجتمع بهم ويجاهر بها العموم في شعره ونثره، وكان محبا لبلاده، صادق الوطنية يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولا وعملا"[2].

ويقول محمد كرو: « إن حياة الشابي مليئة بالشقاء والألم، عامرة بالأحزان والأقراح طافحة بالحرمان والتعاسة مغمورة بالكآبة والأسى، ولسنا نعرف شاعرا في مثل بيئة الشابي وأجوائه تجمعت عليه مثل هذه من ضروب العذاب وألوان الشقاء، ففجرت في فؤاده الأغاني وألهبت قلبه بالحب وقادته إلى حياة صوفية سامية تميزت بتبرمه العنيف وثورته الجارفة»[3].

(1) ينظر: يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي شعره وحياته، ص11.

(2) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة أبي القاسم الشابي، ج1، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1904، ص14.

(3) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص 58.

وهذا ما بينه أيضا صديق الشاعر "الحليوي" عندما زار الشابي وهو يصارع: "وهل كان ذلك الذي اقتبلناه هاشا باشا حتى جعلنا نُسَرُّ من حالته ونحسب شفاءه كأنه أمر محقق، وما درينا أن الرجل يصارع الموت ويغالب آلام النزع ليقوم بواجب ملاطفتنا وإيناس وحشنا"[1].

وهكذا نخلص إلى أن الشاعر ذو شخصية قوية تغمرها العديد من الصفات التي امتاز بها فهو رجل شجاع يواجه الواقع كما هو كائن ولهذا يمكننا أن نلقب الشاعر بالعديد من الألقاب فهو شاعر الحب والحياة، شاعر الحياة والموت، شاعر الحب والثورة، شاعر الألم شاعر الحكمة، شاعر الكآبة...الخ.

3- ثقـــافـــته:

"تلقى أبي القاسم الشابي دروسه الأولى على يد والده بالدرجة الأولى، ثم أرسله إلى "الكتّاب" في بلدة قابس، وفي الثانية عشرة من عمره قدم إلى العاصمة سنة 1339هـ/ 1920م حيث التحق بجامع الزيتونة للدراسة، فتهيأت له الفرصة الحقيقية من أجل التحصيل العلمي وخصوصا العلوم الدينية، فقضى سبع سنوات يدرس ويطالع ويخالط المثقفين وأهل العلم، ولكنه كان لا يخفي تبرّمه وتهجره من إقامته في مكان لا تلقى فيه أفكاره القبول والرضا، ومع ذلك فقد كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره، وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر"[2].

ومن خلال اطلاعنا على ثقافة أبي القاسم الشابي وجدنا أنه كان يجهل اللغات الأجنبية وتعذر عليه قراءتها وبالرغم من هذا إلا أنه لجأ إلى قراءتها بلغة غير أصلية من خلال الترجمة فتوصل إلى قراءة تاريخ الآداب الغربية كما ذكر أحد الكتاب أن الشابي أكثر من قراءة "لامرتين" و "جوتة" وأصبح إلهامه بكثرة على الأدب الفرنسي والإنجليزي واسع وأصبح يتحدث بهما كما أنه أيضا نال العديد من الشهادات في الآداب الغربية ونؤكد قولنا هذا بقول الكاتب "محمد مندور" حيث قال: "ومن الغريب أنني عندما طالعت لبعض قصائد الشابي

(1) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي شعره وحياته، ص58.

(2) أحمد أحسن بسج: ديوان أبي القاسم الشابي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ص05 – 06.

ومقالته النقدية، كنت أجزم بأن هذا الشاعر قد كان يجيد لغة أجنبية تمكنه لا من الإلمام بأدب الغرب فحسب، بل من تذوقه لتلك الآداب وإحساسه بها، وتمثله لها ثم عدت إلى ما كتب عن تاريخ حياته، فأخذتني الدهشة، كل الدهشة عندما علمت أنه لم يكن يعرف أي لغة أجنبية، وأنه تخرج من جامع الزيتونة بتونس. ثم التحق بكلية الحقوق التونسية وتخرج منها سنة 1930م ولكنه لم يتعلم اللغة الأجنبية، وعندما أدركت أننا أمام إحدى تلك العبقريات التي لا يستطيع البشر لها تفسيرا لأنها هبة من الله"[1].

دون أن ننسى أن أبا القاسم الشابي كان محبا للمطالعة ويؤكد على هذا أيضا الأستاذ "إبراهيم أبو رفعة" فهو أحد المطالعين مع الشابي في المكتبة وكان هذا سنة 1923م فيقول: "كان من بينهم فتى يدخل عليهم بخطى سريعة تدل على الحيوية والنشاط مجهول من الجميع يأخذ كرسيه بقاعة المطالعة يحيي المطالعين بصوت خافت لا يكاد يسمع من القريب منه، ثم يقف بجانبه قسيم المكتبة ليحضر له ما يأمر بطلبه، وإذا المطلوب مجلدان ضخام وكتب تحار في حملها وتقليب أوراقها يداه الصغيرتان، ينكب على دراستها غير مهتم بمن حوله، ولا ينصرف بصره من مطالعة كتاب إلى غيره، فكان حينها لسان حال المطالعين"[2].

4- وفـــاتــه:

أصيب أبي القاسم الشابي بداء تضخم القلب في السنة التي فقد فيها والده، وكان في الثانية والعشرين من عمره، وقد نهاه الأطباء من بذل أي جهد فكري أو جسدي ومع ذلك لم يتوقف عن عمله شعرا ونثرا، مما زاد في خطورة وضعه[3].

"وقد نشرت له سنة 1933م بمجلة "أبولو" المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالشرق العربي وإلى أبي القاسم الشابي أو كل أصدقائه الدكتور "أحمد زكي" و "شادي" تصدير ديوانه "**الينبوع**" ولكن الشاعر المريض يغادر توزر إلا في الصيف ويقصد المصطفات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسي سنة 1932م، والمشروحة ببلاد الجزائر

(1) فخري أحمد حسن طملية: أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه، 1973 – 1974، ص 23.

(2) المرجع نفسه، ص 25.

(3) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة أبي القاسم الشابي، ص ص 13،14.

سنة 1933م وشرع أثناء مصيف سنة 1934م في جمع ديوانه "**أغاني الحياة**" بنية طبعه بمصر فانتسفه بنفسه بعامة الجريد، مستعينا ببعض أدباءها لكن باغتته وحالت دون ما نوى فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد تونس يوم 26 من أغسطس سنة 1934م وبها توفي سحرا يوم 09 أكتوبر سنة 1934م ثم نقل جثمانه إلى بلدة توزر حيث قبره"[1].

وأخيرا يمكننا القول أن أبا القاسم الشابي وجد في ظروف مختلفة من سياسية واقتصادية وثقافية ورغم هذه الظروف التي عاش فيها الشاعر إلا أنه تخطى كل هذا وأنتج العديد من المؤلفات وكان له دور فعال في العديد من حركات الشباب في تونس.

ثـانيـا:أهـمّ مؤلفـاتـه:

1- "أغـــاني الحياة":

بالرغم من قصر عمر هذا الشاعر إلا أنه ترك لعشاق الشعر العربي ومتذوقي الرومنطيقية الحالمة، والتائقين إلى مستقبل عربي، ديوانا شعريا ضخما بالقياس إلى عمره القصير الذي خيم عليه المرض، والذي يميز هذا الديوان أن الشابي اختار قصائده ورتبها بنفسه قبل وفاته، وفقا للتسلسل التاريخي الذي نظم فيه، فكانت أولها قصيدة بعنوان "أيها الحب" نظمها سنة 1924 وآخرها قصيدة بعنوان "فلسفة الثعبان المقدس" نظمها في الواحد والعشرين سنة 1934، وبين هاتين القصيدتين تنوعت موضوعات الديوان منها: الحديث عن المستعمر البغيض وتحدثه عن وفاة الوالد، الحب، المرأة، مرضه، وكذلك موضوعات تفجير براكين الثورة والغضب، مواكبة العواصف والصواعق...الخ. وكل هذا دونه بلغة شعرية عصرية مبتكرة وعاطفية إنسانية جياشة، ورومنطيقية حالمة فكان هذا الديوان بمثابة مرآة تعكس حياة الشاعر الذاتية والموضوعية وعلاقته بتونس وبالواقع الذي عاصره وبأحلامه وكذلك علاقته بالحياة الإنسانية ماض وحاضر ومستقبل، إذ أنه اسم متكون من لفظين مضاف ومضاف إليه، الأول هو أغاني دون تحديد لنوعية الأغاني التي يمكن أن تكون

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة أبي القاسم الشابي، ص ص 13، 14.

أغاني حزن كما يمكن أن تكون أغاني فرح وسرور أما اللفظ الثاني فهو الحياة بصفة عامة ومطلقة.

كما يحتوي هذا الديوان على العديد من العلاقات الجدلية والثنائيات كالواقع والخيال الحقيقي والأسطوري، الموت والحياة، الهروب والرجوع، كما نجد أن الشابي يكثر في قصائده أدوات التمني وكذلك الأسئلة التي تفيد التعجب والاستنكار، هذه الأسئلة تولدت من علاقة الشاعر بنفسه وبمحيطه إذن إن "أغاني الحياة" هو مجموعة الأحاسيس والانفعالات والمواقف التي يعيشها الشاعر يوما بما هو الذات الإنسانية في الحياة وبما هو الحياة نفسها بمعنى آخر هي أغاني للحياة من الحياة عن الحياة من أجل الحياة أمَّني الحياة من أجل البحث عن البعث الجديد في الحياة المنشودة.

2- الخيـال الشعـري عند العـرب:

ألقى الشابي هذا الكتاب بشكل محاضرة عام 1348هـ/ 1929م بقاعة الخلدونية قدم هذا الكتاب لأول مرة بقلم "زين العابدين السنوسي" حيث طبعه دون أي زيادة أو حذف إلا ما كان من التعليق والشرح، وهدف "السنوسي" من وراء هذا قدرة القارئ على فهم قوله ورغبة كل شاب في تحقيق ما يريد كما يدعوه إلى أن يسلك بالأدب التونسي سبيل الحياة الجميل المحفوف بالأوراد والزهور[1].

ويحتوي هذا الكتاب على إهداء قدمه أبو القاسم إلى والده، ثم كلمة المؤلف "زين العابدين السنوسي" وبعدها مقدمة، أما عن مضمون الكتاب عامة فهو يشمل سبعة فصول وهي كالآتي:

الفصل الأول: ضم الخيال ونشأته في الفكر البشري وانقسامه ورأيه للخيال وتحدث عن ثلاث نقاط:

(1) ينظر زين العابدين السنوسي: الخيال الشعري عند العرب، دار النشر (التونسية)، 5 أكتوبر، 1981 ص 07.

1/ أن الخيال ضروري للإنسان فهو كالنور والهواء والماء والسماء[1] ضروري للإنسان ولقلبه ولعقله ولشعره.

2/ تحدث عن الخيال عند الإنسان الأول واستعمالاته، بعيدا عن المجاز حيث ضرب لذلك أمثلة كقول: "ماتت الريح" و " أقبل الليل ".

3/ أنه قسم الخيال إلى قسمين: قسم اتخذه الإنسان وسيلة ليتفهم بها مظاهر الكون وتعابير الحياة، وقسم اتخذه لتبيين ما في نفسه من معنى.

الفصل الثاني: وتحدث فيه عن الخيال الشعري والأساطير العربية فبين تاريخ الخيال الشعري في الأساطير وأن هذا التاريخ لم يحفظ إلا شيئا يسيرا وتوصل الشابي إلى أن التاريخ قسمين قسم الأساطير الدينية ويتمثل في عادات العرب والعقائد والقسم الآخر يتجسد في التاريخ العربي القديم.

الفصل الثالث: وعنوانه الخيال الشعري والطبيعة في رأي الأدب العربي: حيث علق الشابي في هذا الفصل على ثلاثة محاور: المحور الأول أشار إلى أثر الطبيعة في الإنسان

والأمة فتساءل عن الخروج في أيام الربيع إلى بعض ضواحي المدينة وكذلك[2] التساؤل عن الذي حرك هذه كلها وفي هذا السؤال يجيب نفسه: أليست هي الروح الالهي الذي يبصره الإنسان في السماء والماء والنور والفضاء؟ أما المحور الثاني يتمثل في أدوار الأدب العربي التي قررها الشابي وهي الدور الجاهلي والدور الأموي والعباسي وكذلك الدور الأندلسي أما المحور الأخير فهي مقارنة بين العرب والإفرنج وهذا لكي يبين الشابي الفرق بين الرنة العربية والرنة الغربية العميقة.

الفصل الرابع: "الخيال الشعري والمرأة في رأي الأدب العربي" في هذا الفصل ركز الشابي على عنصر فعّال وهو " المرأة" ثم تحدث عن النفس الإنسانية وماهيتها وجمالها إلى أن يصل إلى قوله:"..أما العرب فقد حرموا هذا الجمال السماوي الذي يجد عنده القلب لذة الحس

(1) ينظر يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2009، ص 26،27.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص ص 27، 28.

وسعادة الشعور، ولم يكن لديهم من مظاهر الجمال على اختلاف فنونه غير فن واحد، هو "المرأة" ..."[1].

الفصل الخامس: تطرق هذا الفصل إلى ذكر فن أدبي ألا وهو القصة وهو يجد فيها خيالا عذبا مشرقا بالروح والحياة وأن القصة تتصل بالخيال الشعري أدق اتصال لأنه يتفهم الحياة بما اشتملت عليه وأن حياة القصص في الشعر العربي هي حياة موجزة قصيرة أما في النثر العربي فقد ظفر القصص إلى حد ما بما لم يظفر به في الشعر من الاستقلال والحياة وذلك لأن النثر الجاهلي كان قاصرا على الخطب والمحادثات فقط[2].

الفصل السادس: حيث توصل فيه الشابي إلى فكرة عامة عن الأدب العربي وأنه أدب مادي لا سوم فيه ولا إلهام ولا تشرق إلى المستقبل ولا نظر إلى صميم المياه في عروق الكون هذا من زاوية، أما من زاوية أخرى فهو يرى أن الأدب فان في كل العصور حيا فياضا بكل ما تصبو إليه الشعوب من صور الحياة المختلفة فتطرق في حديثه عن الأدب الجاهلي، الأموي والعباسي وكان يتحدث عن صفات كل أدب فكانت الصفات تلاءم الأذواق في عصورها فكان الشابي يتحدث بكل جرأة وصراحة مبينا رأيه لا يغض من هذا الأدب الذي لا يخلق لنا[3] وكان يوجه حديثه هنا للتونسيين كما تحدث في هذا الفصل عن الشاعر العربي والشاعر الغربي والمقارنة بينهما.

الفصل السابع: يتحدث عن "الروح العربية" وهو يرى أن الروح السائدة هي النظرة القصيرة الساذجة التي لا تنفد إلى الشكل والوضع واللون والقالب والتحدث عن الطبيعة بألوانها وأشكالها وتساءل في هذا الفصل عن هذه الروحية ماهي؟ وما هو طبعها الخاص.

ويجيب فيقول: أن الروح العربية خطاية مشتعلة ومادية محضة لا تستطيع الإلمام بغير الظواهر.

(1) ينظر: يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص ص 37، 38.

(2) ينظر: زين العابدين السنوسي: الخيال الشعري عند العرب، دار النشر ، تونس ، ص93 – 102.

(3) ينظر: يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص 48 52.

وهذا ما قدمه الشابي باختصار عن الخيال الشعري[1].

3- يوميـــات الشـــابي:

"بدأ في تدوينها في كانون الثاني عام 1930م، وهي من مذكرات اليومية التي سجل فيها آراؤه وخواطره في شؤون حياته المختلفة وهي عبارة عن كتاب من الحجم الصغير، وقد طبعته الشركة التونسية للنشر، كما نشر بعضها في مجلة "مكارم الأخلاق الصفاقسية" الطبيعة إما وحده أو برفقة أصحابه، يتسامرون في الحديث ويتكلمون عن الأدباء أمثال "أبي العلاء المعري، وغيره... كما تحدث في هذه اليوميات على "حياة المدارس" و "النزعة الإبداعية" والحركة الثقافية في تونس" عام 1930م، كما تحدث عن الأدب الشعبي والأدب الفصيح " وبين الأدب والفلسفة " دون أن ننسى بأنه كان يكتب في هذه اليوميات عن مرضه[2].

4- رســائل الشــابـي:

"هي مجموعة كبيرة تبادلها مع أدباءعصره في مصر وتونس فمع أدباء مصر "أحمد زكي"، "أبي شادي" صاحب مجلة "أبولو". ورسائل تبادلها مع بعض الشعراء، نشر بعض هذه الرسائل ولم ينشر الكثير منها بعضها كانت أدبية والبعض الآخر كانت رسائل شخصية".

"حيث كان ضمن هذه الرسائل رسائل وجهها الشاعر إلى بعض أصدقائه من القيروانيين "كالشيخ محمد بوشريبة" والشاعر "وقد أشارت إلى ذلك، لكن يؤسف أن الصفحات المختارة لم تمس الشابي مسا مباشرا والجدير بالذكر بأن اليوميات تجلى لنا مظهر بل مظاهر عديدة من شخصية أبي القاسم الشابي التي لم يحاول الأدباء والنقاد التعرض لها.

إن مذكراته أنوار ساطعة، تنير نواحي مظلمة من حياته فلولاها لفاتنا الكثير"[3].

---

(1) ينظر: يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ، ص148.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص12.

(3) محمد فريد غازي، أبو القاسم الشابي من خلال يومياته، الدار التونسية للنشر،1983،ص 10.

إذن نجد أنّ أبا القاسم الشابي قد تحدث في مذكراته في شؤون مختلفة منها: "المرأة والحب" التي دونها يوم الأربعاء في 01 جانفي 1830م، تحدث فيها عن فتاة واقعية عرفها وأحبها وأحببته، فوصفها بأنها ريحانة جميلة، التي أنبتها في سيل أنامل الحياة حيث كتب الشابي قصائد غرامية عنها.

كذلك تحدث الشابي في هذه اليوميات عن الطبيعة والأدباء ودونها يوم الجمعة 03 جانفي 1930. فكان كل يوم يتردد إلى أحضان[1] "محمد الفائز القيرواني" والأديبين "صالح السويس" و "محمد الحليوي" لكنها لم تنشر ضمن رسائل الشابي التي تضمنت مراسلات له مع الأديب "محمد الحليوي" وصديقه الأديب "محمد البشروش"[2].

إن عدم الإستقرار الذي عاشه الشابي كان له تأثير في نفسيته، تلك النفسية التي ترأى لنا من خلال ما كتب، ولاسيما "المذكرات" فكان يرى نفسه دائما غريبا حائرا وهذا المشهد الذي اقتطفناه من إحدى مذكراته حيث يقول: "أشعر الآن أني غريب في هذا الوجود، وأنّي ما زاد يوما في هذا العالم إلاّ وأزداد غربة بين أبناء الحياة وشعورا بمعاني هاته الغربة الأليمة"[3] بالرغم م أن المنية اختطفته مبكرا إلا أنه ترك لنا تراثا شعريا ونثريا يفتخر به العالم العربي ككل وتونس بصفة خاصة.

(1) ينظر: محمد فريد غازي، أبو القاسم الشابي من خلال يومياته، ص ص 10،11.

(2) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة أبو القاسم الشابي، ج1، الدار التونسية للنشر، 5 أكتوبر 1984، ص 06.

(3) فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، التونسية للطباعة وفنون الرسم، جوان 1988، ص 71.

ثـالثـاً: شعـر أبي القـاسم الشـــابي:

1- خصـــائصه ومميـــزاته:

"يرى الأستاذ: "مصطفى رجب" أن الخصائص الرومانسية تبرز عند الشابي في اللفظ والعبارة والأسلوب والقالب والدعوة إلى الطبيعة والاستماع إلى النفس وتوسيع دائرة الشعر وابتكار الموضوعات ومسايرة روح الموضوع في النزعة الإنسانية، وكان صادق التعبير دقيقا في التصوير مما كان يجيش في فؤاده من حب للحياة والطموح إلى الخلود في نغمات هادئة وطمأنينة وسلام.

إذ كان كل بيت عن قصائده قطعة من قلبه ومزيجا من العبقرية والإلهام وهو لا يتكلف بل جاءت أشعاره أنغاما تفيض على وجدانه وتنساب من أحاسيسه ومشاعره، ولذلك أحبه الناس ورددوا أشعاره وتغنوا بها فكان ذلك سر خلوده وخلود شعره وانتشاره"[1].

- جمع الشابي في شعره بين التمرد والتصوف بعاطفة رقيقة ودعوة إلى الإصلاح الاجتماعي، كما دعا إلى التحلل من قيود الرجعية والجمود وإلى حب الطبيعة.

- كما ثار أيضا على عمود الشعر وأعلن تحرره على قيود اللغة والقافية، فسار بذلك في ركب شعراء المهجر، واتصل بجماعة أبو لو.

- عالج في شعره الفلسفة فبحث في أعمق موضوعاتها دون أن يخشى ما حوله، لأنه كان يقصد أن يصل إلى كنه الأسرار الغربية التي ينطوي عليها عالم ما وراء الموت، ولذلك نجده يمر في طور من أطوار حياته بحالة من الحيرة والشك والغموض [2].

- من مظاهر تمرد الشابي على الموروث كذلك توسله بأساليب حديثة في التصوير الشعري أهمها الرمز، وفي هذا الإطار يمكن أن ينزل إلى قوله:

فأطرقت أصغي لعزف الرياح وصوت الرعود ووقع المطر[3]

فالرياح رمز للثورة والرعود رمز للغضب، والمطر رمز للطهارة والخصب والحياة.

---

(1) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، ص 95.

(2) ينظر: المرجع نفسه ص95.

(3) ينظر الشابي وخصائص شعره، ص 25.

- "حبه للوطن والتعلق به.

أنا يا تونس الجميلة في لُجج الهوى قد سبحت أيا سباحة

شعر الشابي قائم على استشراف المستقبل وتجاوز اللحظة القادمة، كما أنه لا يتوقف عند حدود الوطنية الضيقة، بل يتجاوزها ليكب قصائده بعدا كونيا متغنيا بالقيم والمعاني الإنسانية"[1].

- "وقد جرى في شعره على أسلوبين: أسلوب متين النسج خص به شعره في الحكمة والفخر وأسلوب لين سلس في الأغراض الوجدانية الخيالية.

- الشابي في كثير من الأحيان كان يعمد إلى تكرار الكلمة، وقد يكرر عناوين كاملة للقصائد أو يكرر مقطعا أو يبني صورة جديدة بالتكرار ففي قصيدته "الكأبة المجهولة" كرر كلمة كأبة أربع مرات ليخلق في كل مرة صورة شعرية جديدة[2].

والأبيات هي:

كأبة الناس شعلة، ومتى مرت ليال خبت مع الأمد

أما اكتئابي فلوعة سكنت روحي وتبقى بها إلى الأبد

ولهذا فإن الغرض من هذا التكرار هو التخصص وذلك ليبين حزنه الشديد لكي يتوصل إلى مقارنة بين كآبته وكآبة غيره، حيث أقرّ بأن كآبة الناس تزول مع مرور الوقت، أما كآبته فهي دائمة تسكن روحه.

- "التغني بالحرية باعتبارها صفة متأصلة في الإنسان.

- إن أبا القاسم الشابي ينطلق من القضية الوطنية لبناء معاني شعرية تجمع بين البعد الوطني والبعد الإنساني ولعل ذلك أن يكون من خصائص التيار الرومنطيقي الذي ينتمي إليه الشابي"[3].

---

(1) ينظر الشابي وخصائص شعره، ص 26.

(2) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009، ص 95.

(3) الشابي وخصائص شعره، ص 26.

2- مــراحـلــه:

لشعر الشابي مراحل من حيث الروح والوحي فتتجلى فيها نزعاته الكبرى، ومطارح إلهامه الشعري، ومحطّات اختلافاته النفسية والعاطفية.

أ- مرحـلة الأدب الأنــدلسي والمــهجري:

عندما تفتحت قريحة الشاعر راح يجاري الأندلسيين في طريقة نظمهم وفي أساليب تصوّرهم للحياة، ثم في نهج الزخرفة والتنميق، حتى لكان شعره من شعرهم وصياغته من صياغتهم.

قال يصف جميلا ويصف حاله معه:

ربّ ظبي عَلِقْته بألبها قد تفز طقا
ثم من وصله الجميل غدا القلب مُمْلِقا
سحر اللهُ طرْفُهُ مادَهَا الرّيق يورقى
أقصبَ الصبَّ ضده والشفا لو ترفّقا
صار ملقى بحُبِهِ مُوثقًا ليس مطلقا (1)

إنه شعر من يتلمس الطريق ويستقي الوحي من تصنيعات الأندلسيين ولكن هذا التلمس لم يدم طويلا فقد ترامت إليه أخبار أدباء المهجر، فاطلع على آثارهم ولاسيما أثار "جبران خليل جبران" فخلت في نفسه ثورتهم الاجتماعية وتطلعاتهم المستقبلية، وحرك أوتار شاعرية أسلوبهم الجديد في الكتابة والشعر، فأراد أن ينهج منهجهم في النوعية، وأراد أن يسلك مسلكهم في الأدب، فنزع نزعة صوفية رواقية وفتح نوافذ نفسه على الإنسانية المعذبة وراح يهاجم المجتمع المتحجر ويدعو إلى التجديد في الحياة.

وإلى جانب هذا التأثير المهجري نجد تأثيرا آخر كان له شعر الشابي أصداء بعيدة ألا وهو شعر الرومنطيقية الأوروبية الحافل بالألم والقلق والذكريات والحنين المتدفق حزنا وفرحا

(1) حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2005م – 1426هـ، ص ص 557 ، 558.

الغارق في خضم من التأمل..... وإننا في هذه المرحلة من الحياة الشعرية[1] نلمس من خلالها نفس جياشة العواطف، نحاول أن نجمع ما بين العنف الجبراني واللين الرومنطقي فتنطلق في معني الكآبة والحزن انطلاقا لا حد له، ويذهب إلى تفهم الحياة مذاهب مختلفة تعتلج فيها الثورة واليأس والأمل، والألم والشابي أبدا عميق النظرة، بعيد الرؤية وافر الإنسانية، فياض القريحة[2].

ب- مرحلة المواجهة مع الموت:

توفي الوالد (والد الشابي) فكانت هذه الوفاة بمثابة صدمة عنيفة هزت كيانه، فنظم الشاعر في أوائل تشرين الأول من سنة 1929م قصيدته الشهيرة: "**يا موت**" وصدّرها بقوله: "هي صرخت من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تلت نكبتي بوفاة الوالد "رحمه الله"[3]. ومنذ ذلك الحين تبدلت حياة الشاعر وساءت حالته الصحية، وشعر بثقل العبء عليه، وراح يذيب نفسه وقلبه، والمرض ينهش آماله، وفي أجواء اليأس والشقاء والعزلة راح ينظم أجمل شعر في وصف الطبيعة وسحر الوجود[4]

فنجده يقول:

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأس

إني ذاهب إلى الـــغـــــاب علي في صميم الغابات,أدفن بؤسي

سوف أتلو على الطيور أناشيدي ولأقضي لها بأشواق نفسي

(1) حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، ص258.

(2) ينظر: المرجع نفسه: ص 258.

(3) المرجع نفسه: ص 259.

(4) ينظر المرجع نفسه، ص 259.

ج- مرحـلة المـأسـاة والفـاجعة:

اشتد ألم الشاعر، واشتدت عليه وطأة الداء، وأحس بأن النهاية قد اقتربت، فراح يتبرم ويتسخط الوجود، ويستغيث بالموت علّه يريحه من شقائه، فكان شعره في هذه المرحلة شعر النضوج الصّاخب وشعر الإندفاق الوجودي الذي يهزّ كيان الوجود[1].

يقول:

ثم ماذا؟هذا أنا صرت في الدنيا بعيدا عن لهوها و غناها

في ظلام الفناء أدفن أيامي و لا أستطيع حتى بكاها

و زهور الحياة تهوي بصمت محزن مضجر على قدميّا

جف سحر الحياة يا قلبي الباكي فهيا نجرب الموت...هيا [2]

3- دوره في التـراث العـربي:

كان الشابي يهدف إلى بناء حياة جديدة في صورها المتعددة الأدبية منها والاجتماعية فلم تطبق الرجعية المضي معه في هذا التمرد الخالق ولم ترض لنفسها التخلي عن كسلها القاتل، فسعت إلى محاربته متهمة إياه بالدعوة إلى (أدب الأغراب) ومحاربة (أدب الإعراب) وتميزت بيئته الفكرية بالمحافظة على التراث والغيرة علية واعتماده في هذا على وسيلة أساسية في التكوين الثقافي للفرد وكان هذا نتيجة تعليمه في أكبر الجامعات في تونس (الجامعة الزيتونية) وهي إحدى المعاقل الكبرى للثقافة العربية الإسلامية.

لم يكن الشابي ثائرا سطحيا أو ثائرا جاهلا للتراث بل كانت ثورته عنيفة عارمة لم تفقد احترامها وتقديرها للقديم وذلك لأن الشابي قرأ ما تهيأ له من الشعراء القدامى الذين اكتشف عن طريقهم معنى التجربة الشعرية التي مر بها الشعر العربي منذ الجاهلية وحتى العصر الحديث ولهذا كان على علم بهذه الرحلة الطويلة التي قطعها هذا الشعر[3]، وإلى جانب هذا نصل إلى أن أبا القاسم الشابي كان يدعو إلى بناء شعر يعانق التجربة الحديثة للإنسان

(1) حنّا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، ص 259.

(2) المرجع نفسه، ص 260.

(3) : ينظر، خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، الدار العربية للكتاب، الطبعة الرابعة، 1298هـ/1978م، ص177.

العربي الحديث ويجب أن يعبر عن تجربته التي يخوضها في وجوده المعاصر بعيدا عن التقليد ويقدم رأيه عن الأدب العربي فيقول: "لا أزعم أنه لا يلاءم أذواق تلك العصور ولا أرواحها، ولكني أقول أنه لم يعد ملائما لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأمالينا ورغباتنا في هذه الحياة، فقد أصبحنا نرى رأيا في الأدب لا يمثله ونفهم فهما في الحياة لا نجده عنده ونطمح بأبصارنا إلى أفاق أخرى لم تحدثها أحلامه ولا يقظاته"[1].

وهكذا نخلص إلى أن أبا القاسم الشابي كان له دور فعّال في التراث العربي وذلك بدعوته إلى التجديد والابتعاد عن التقليد وأن لا ننظر إلى الأدب العربي نظرة نغوص فيها إلا في عصر قديم بل ننظر إليه نظرة عجيبة قوية تقودنا إلى الحياة الحاضرة من عمق في الفكر وسعة في الخيال ودقة في الشعور ولا خير من أدب يخلو من التقديس والعبادة والتقليد.

(1) خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، الدار العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1298هـ/1978م، ص178.

الفصل الثاني

الفصـل الثانـي: مـاهية المنبـع و المـؤثرات فيـه

أولا: قـراءة في ماهيـــة العنـــوان:

أ- المنبـع.

ب- الإلهـام.

جـ- الشعـر.

ثانيـــا: المؤثـرات الفكريـــة الداخليـــة والخارجيـــة للشابـــي

من خـــلال: "أغانـــي الحيـــاة".

أ- المؤثـرات الداخليـــة: [نفسية الشاعر].

ب- المؤثـرات الخارجيـة: [المجتمع، المذهب الرومانسي].

أولا: قـــراءة في مـــاهية المنبـــع و المـــؤثرات فيـــه:

أ – المنبع:

لغـــة: نُبَايعُ: اسم مكان أو جبل أو واد في بلاد هذيل، ذكره "أبو ذؤيب" فقال: وكأنها بالجزع جزع نُبايع وأولات ذي العرجاء ذهب مجْمَعُ ويجمع على نُبايِعاتٍ، فقال "ابن بري": حكى المفضّل فيه الياء قبل النون، وروى غيره نُبايعُ كما ذهب إليه "ابن القطاع": ويُنَابع، مضموم الأول مقصورٌ مكان. فإذا فُتِح أوَّلهُ مُدَّ هذا قول تُراعٍ، وحكى غيره فيه المدَّمَعَ الضَّمُّ.

– ونَبَايِعاتُ: اسم مكانٍ وينُابِعاتُ أيضا بضم أوّلِه قال "أبو بكرٍ": وهو مثال لم يذكره "سبويه"، وأما "ابن جني" فجعله رُباعيًا وقال: ما أظرف بأبي بكرٍ أن أوردهُ على أنه أحد الفوائت، ألا يعلم أن "سبويه" قال: ويكون على يَفَاعِلَ نحو اليحامِدِ واليرامع، فأمّا إلحاق علم التأنيث والجمع به فزائدٌ على المثال غيرُ محتسب به، وإن رواه راوٍ نبايعاتٌ. فنُبايعُ نُفاعِلُ كنُضاربُ ونقاتِلُ فَقِيلَ وجُمِعَ، وكذلك ينابعاواتٌ.

– ونوابعُ البعير: المواضع التي يسيلُ منها عرقُه.

قال "ابن برِّي": "والنّبعُ أيضا العرقُ".

– قال "المُرّارُ": ترى بِلِحى جَماجمها تَبيعًا وذكر الجوهريّ في هذه الترجمة عن "الأصمعي" قال: "يقال قد انباعَ فلانٌ عَلينا بالكلام أي انبعت، وفي المثل مُخْرَنْبقٌ لِيَنْباعَ، أي ساكتٌ لينبَعِث ومُطرقٌ."

– قال "الشيخُ ابن برّي": "انْباعَ حقه أن يذْكُرَه في فصل بَوَعَ لأنّه انفعل من باعَ الفرسُ يبُوعُ إذا انبسط في جريِه، وقد ذكرناه نحن في موضعه من ترجمة بَوَعَ."

– والنّبَاعةُ: الإسْتُ يقال: كذَبَتْ نَبَاعَتُك إذا رَدَمَ ويقال: بالغين المُعْجَمَةِ[1].

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار المتوسطة للنشر و التوزيع، تونس، طبعة1، 2005، ج3، ص2260.

اصـطـلاحا:

هو المكان أو كائن يمكن أن يحصل منه على شيء نريده. وفي الأدب يشير المنبع (المصدر) إلى أي كتاب أو مخطوط أو شخص أو عبارة تقدم أعلاما يستخدمه الكتاب، كما يدل أيضا على أصل الأعمال الأدبية أو الأشكال الفنية أو الأفكار الفلسفية.

كما أن المنبع هو المصدر الأول لأي شيء وهو ذو أهمية مباشرة تأتي في مكان الصدارة.

والمنبع هو المصدر الذي يكون أفكار الشعراء والكتاب أثناء قول الشعر أو فعل الكتابة.

ب/ الإلهام:

لـغـة: الإلهام من الفعل لَهَمَ.

اللّهْمُ: الابتلاع، يقال لهمت الشيء، وكما يقال إلا الْتهمتُ وهو ابتلاعتُهُ بِمَرّةٍ، فقال "خريرٌ": "ما يلْق في أشداقِه تَلَهَّما." ولَهِمَ الشيءَ لَهُمًا ولَهَمًا، وتَلَهَّمه، والتَهمَهُ: ابْتلعهُ بمرّةٍ، ورجلٌ لَهِمٌ ولُهَمٌ ولَهُومٌ: أكُولٌ.

– والمَلْهَمُ: الكثير الأكل.

– ولُهْمُمٍ: جواد سابق يجري أمام الخيل، لالتهَامِهِ الأرضَ والجمع لهَاميمُ.

يقول "الجوهري": "اللُّهمُومُ الجواد من الناس والخيلِ" ويقال: "لاتحسبنّ بياضا في منقصةً، إن اللّهاميم في أقرابها بلقُ".

– وفرسٌ لِهَمٌّ: مثل هِجَفَّ: سبّاق كأنّه يَلْتهِمُ الأرض.

وفي حديث "علي" ـ رضي الله عنه ـ "وأنتم لهَاميمُ العربِ".

– جمْعُ لَهْمومِ الجوادُ من الناس والخيل، وحتى سيبويه لِهْمٌ وهم مُلحقٌ بِزِهْلِقٍ، ولذلك لم يُرْغَمْ: وعليه وُجِّهَ قولُ غَيْلنانَ.

– شأوٌ مُدِلٌّ سابِقٌ اللّهامِمِ.

– قال: ظهر في الجمع، لأنّ مثلُ واحدٍ هذا لا يُرْغَمُ، واللُّهمُومُ من الإحْراجِ: الواسع[1].

(1) ابن منظور: لسان العرب، دار المتوسطة للنشر و التوزيع، تونس، طبعة1، 2005، ج3، ص2264.

أما اصطلاحا:

- **الإلهام:** قوة دافعة ملحة تعمل داخل الشخص، وهناك كثير من الكتاب يزعمون أنهم يتلقون إلهاما ما في تصورهم وإنجازهم للكتابة ويعنون أنهم يستشعرون تواصل بين أعماقهم الباطنة وما فيها من معرفة واستبصار من مصدر علوي.

- **الإلهام الشعري:** سمو بالذهن والروح يسبق التأليف الخلاف يشعر الشاعر أثناءه أنه يتلقى عونا من مصدر علوي.

أما الإلهام الشعري عند بعض علماء النفس يقول أحدهم: "إن الإنسان في دواخله العميقة يحمل قبسا من الروح الإلاهية تمكنه من معرفة ذاته وهذه خطوة هامة في معرفة النفس والتي تؤدي إلى معرفة الله من خلال العلاقة بين العارف والمعروف، أن التأمل لدى الشاعر حينما يغيب عن ذاته غيابا وقتيا وينحصر حضوره في فكرة معينة عنها تأخذ الأفكار طابع الحدس والإلهام".

وأما من خلال المنظور الفلسفي فنجد "أفلاطون" يقول: "حين يظفر ذلك الإلهام بروح ساذجة ظاهرة، فإنه يوقظها ويسمو بها فتمجد بأناشيد أو بأية أشعار أخرى. أما ذلك الذي حرم نشوة الصادرة من آلهة الفنون، ويجترئ على الاقتراب من أبواب الشعر وهما، إن الصفة تكفي لخلق شاعر فإنه لن يكون سوى شاعرا ناقصا شعر البارد العاطفة يظل دائما لا إشراق فيه إذا قرن بشعر الملهم".

وبهذا كان للإلهام أثر كبير على مسار حياة الشعراء وطوافهم في تأملاتهم في جانب الكون والحياة والروح وفي أغوار النفس ونوازعها وما يحدوا بهم إلى ذلك هو الكبت الذي يحاصر الشاعر في بيئته ومجتمعه ولنتيجة شعوره بخيبة الأمل في تحقيق أحلامه ونراه يغوص في أعماق نفسه ويناجيها فتتجلى هذه المناجاة عن شعور رقيق عذب، فالتأمل والعزلة والسكون هي أدوات الشاعر لدخوله عالم الإلهام حين ينظم الشاعر قصيدته يسترسل بها دون دراية منه إلى ما آلت إليه من بناء ونظم نصية سوى علمه بداية بفكرتها والطقوس المحيطة بها والتي حركت مخزوناته الذاتية.

ومن ثم يمكن القول بأن الشعر وإن كان هو الأقدر على التعبير عن عواطفنا ومكنوناتنا والتحليق في فضاءات خيالاتنا، وإظهار مشاعرنا وأحاسيسنا بجمالية عذبة إلا أنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالإلهام فهو القرين الشرعي له.

جـ – الشعـــر:

لـــغـة: في حديث عائشة، رضي الله عنها: "إنه كان لا ينام في شُعُرِنَا"[1]، هي جمع الشِعار، مثل: كتابٍ وكتُبٍ، وإنما خصتها بالذكر لأنها أقرب إلى ما تناولها.

– وكانت العرب تقول للملوك إذا قتلوا: أُشْعِرُوا، وتقول لسُوقَة النّاس: قتلوا، وكانوا يقولون في الجاهلية: دِيَةُ المشعرة ألف بعير، يريدون دِيَةَ المُشْعَرَة ألف بعير، يريدون دِيَةَ الملوك، فلما قال الرّجلّ: أشْعرَ أمير المؤمنين جعله اللّهبيُّ قتلا فيما توجّه له من عِلْمِ العِيافَةِ.

– وقيل الشعراء: الخوخ أو ضرب من الخوخ، وجمعه كواحِدِه. قال "أبو حنيفة": "الشعراء شجرة من ليست لها ورق ولها هدَبٌ، تحرص عليها الإبل حرصا شديدا، تخرج عيدانا شدادا"

– والشعْرانُ: ضَرَبٌ من الرِّمْثِ أخضَرُ، وقيل: ضَرْبٌ من الحَمْضِ أخضَرُ أغْبَرُ[2].

اصـطـلاحا:

فنجد هناك تعريفات مختلفة للشعر لأنه يتضمن الكثير من الأوجه المتباينة في مادة التناول والشكل والتأثير وسنحاول تقديم تعريفات لهذا العمل الأدبي عند كل من الغرب والعرب.

أولا: الشـــعر عند الغـــرب:

يعرفه "شيللي" فيقول: "الشعر هو سجل لأفضل اللحظات وأكثرها سعادة عند أفضل الأذهان وأكثرها سعادة"[3].

(1) ابن منظور: لسان العرب'دار المتوسطة للنشر و التوزيع 'تونس طبعة1'2005'ج3'ص2274

(2) ابن منظور: لسان العرب، ص 2278

(3) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، مطبعة التعاضدية العالمية للطباعة والنشر صفاقص، تونس، عدد (1) 1986، ص 215.

كما يعرفه "أدجار ألان بو": "شعر الكلمات هو الخلق الإيقاعي للجمال والفيصل الوحيد الذي يعترف به هو الذوق، وباستثناء بعض الحالات العرضية فهو لا يأبه على الإطلاق بالواجب أو الحقيقة"[1].

أما الشعر من نظر "ماتيو أرنولد" فيعرفه بقوله: "الشعر هو ... نقد للحياة في الشروط التي تضعها لهذا النقد قوانين الحقيقة الشعرية والجمال"[2].

والشعر من نظر "إيلان توماس" هو: "الحركة الإيقاعية التي لابد أن تكون قصصية (بمعنى خاص) من العمى المدثر في إسراف إلى الرؤية"[3].

ثانيا: الشعر عند العرب:

فكان أول تعريف وضع للشعر في النقد العربي هو تعريف "قدامة بن جعفر" (377هـ) يقول: "أن الشعر قول موزون مقفى يدل على المعنى"[4].

و"طه حسين" يعرفه بقوله: "المثل الأعلى للشعر هو هذا الكلام الموسيقي الذي يحقق الجمال الخالد، في شكل يلائم ذوق العصر الذي قيل فيه ويتصل بنفوس الناس الذين ينشد بينهم، ويمكنهم من أن يذوقوا هذا الجمال حقا، فيأخذوا بنصبيهم النفس من الخلود"[5].

أما "الرافعي" فيذهب إلى أن: الشعر فن منظوم يتميز بمقدرته الفائقة على التأثير في نفوس سامعيه وذلك لما يتمتع به من صياغة فنية محكمة ويبدو هذا واضحا من قوله: "فأما الكلام فيه فن الشعر، فالمراد بالشعر، أي نظم الكلام، وهو في رأينا التأثير في النفس لا غير، والفن كله إنما هو هذا التأثير، والاحتيال على درجة النفس له، واهتزازها بألفاظ الشعر ووزنه، وإدارة معانيه، وطريقة تأديتها إلى النفس، وتأليف مادة الشعور من كل ذلك تأليفا متلائما مستويا في نسجه، لا يقع فيه تفاوت ولا اختلال، ولا يحمل عليه تعسف ولا استكراه

(1) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ص 216

(2) المرجع نفسه، ص 216.

(3) المرجع نفسه، ص 216.

(4) عثمان موافي: في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، سويتر الإسكندرية، الطبعة الأولى، السنة 2008م، ، ج 2، ص13.

(5) المرجع نفسه: ص17.

فيأتي الشعر من دقته وتركيبه الحي ونسقه الطبيعي، كأنما يقرع به على القلب الإنساني ليفتح لمعانيه إلى الروح.

والشعر العربي إذا تمت في صياغته وسائل التأثير وأحكم من جهاته كان أسمى شعر إنساني"[1].

ومن هذا فإن قيمة الفن الشعري في رأي "الرافعي" و"طه حسين" لا تقاس بجودته أو رداءته بقدر ما تقاس بمدى قدرته على التأثير في نفوس سامعيه.

وأما "العقاد" فنجده يقول: « إنما الشعر استيعاب للمحسوسات وقدرة على التعبير عنها في القالب الجميل، وقد تكون هذه المحسوسات عامة وشاملة، وقد تكون خاصة محدودة وقد تكون إدراكا واعيا لكل ما في الطبيعة والكون والوجدان، ولكل ما تتسع له الأرض والسموات»[2].

إذن فمن خلال هذا التعريف نخلص إلى أن "العقاد" قد جمع بين الاتجاه الرومانسي والاتجاه الكلاسيكي وذلك من أجل فهم طبيعة التجربة الشعرية.

فأما الشاعر التونسي "أبي القاسم الشابي" الذي نحن بصدد دراسته والبحث في خفايا شعره نجد أن نظرته للشعر لا تختلف تمام عن نظرة "العقاد" له، فمن خلال قراءتنا لقصيدته "شعري" يتضح لنا أن الشعر استجابة للنفس في شتى أحوالها وتعبير عن الحس في كل صوره، يعبر فيه عن حزنه، وعن سروره. بل إن الشعر عنده هو قصة عمره كلها. يقول:

" أنت يا شعر قصة عن حياتي أنت يا شعر صورة عن وجودي" [3]

(1) عثمان موافي: في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي الحديث، ص، ص 18، 19.

(2) المرجع نفسه ص 25.

(3) بحث مقدم من الطالب: فخري أحمد حسن طملية، أبو القاسم الشابي، دراسة في حياته وأدبه، صفحة 115.

ثانيا: المؤثرات الفكرية الداخلية والخارجية للشابي من خلال "أغاني الحياة":

أ – المؤثـــرات الـــداخلية: [نفسية الشـــاعـــر]:

❖ **مـوت حبيبته:**

"كان الموت من أهم تجارب الشابي في حياته، ففي بواكيره فجعه حين نقد إليه بحبيبته التي ماتت وهي برعم لم يتفتح بعد على الحياة، ماتت وهو يشتاق إلى التمتع بظلها، فتفجرت في حناياه بواعث الموت، وانطوى قلبه أسى عليها فخلق عنده الفراغ والظلام والاكتئاب فهذه ليست تجربة سهلة في حياة الشابي فهو مازال يافعا حساسا وقلبه مليء بالطموحات لمستقبل كان يأمل، أن يعيش ليراه"[1].

هذه هي مأساته الأولى قبل بلوغه العشرين فهو لم ينسى هذه الفتاة ومدى حبه لها بل ظل يذكر هذا الحب مدة طويلة. ولهذا فإن الشابي التمس منها رفقة هادئة فيها الحنان ورقة الشعور، حيث تورد إليها وكان يلاعبها وتلاعبه في طفولة بريئة ظاهرة، حتى أنسى كل منهما إلى رفيقه وعده جزء من نفسه.

ولكن عندما بلغ أبو القاسم الشابي الحادية عشرة من عمره قرر أبوه أن ينزعه من أحلامه الصبيانية وألحقه بجامع الزيتونة، وبهذا افترق الشابي عن رفيقة صباه، فكان ذلك الحدث أول صدمة تلقاها هذا الطفل الصغير وأحس أن الحياة بواقعها ليست تلك التي بناها بأحلامه ورؤاه.

ومن هنا بدأ تردده بين الواقع والخيال، فهذا التردد لازم حياته كلها فظل قلبه حزين ينزف شعراً، فيه الألم والحزن وفيه ذكرى الأيام التي أمضاها مع الفتاة التي ماتت، وهي لا تزال في ريعان شبابها.

حيث يقول:

كمن من عهـــود عذبة في عدوة الوادي النضيرْ

فضيـة الأشجـار مذهبـه الأصائل والبكُورْ

(1) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009، ص 13.

قضيـتها ومعي الحبيبـة لا رقيب ولا نذيرْ

إلا الطفـــولـة حـــــولنـا تلهو، مع الحب الصغيرْ

أيام لم نعرف من الدنيا ســـوى مـرح الســـــــرورْ[1]

وبهذا قرر أبوه تزويجه لعله ينسى هذه الفاجعة وينسى هذه الفتاة التي أحبها حبا شديدا فقبل الشابي برغبة أبيه وتزوج المرأة التي اختارها له أباه، حيث يبدو أن الشابي قد سعد في زواجه على الرغم من الظروف القاسية التي صاحبته في حياته كما أن زوجته قد أحسنت فهمه، وبثت في نفسه الرغبة في الحياة فنجاها في أشعاره[2].

حيث يقول:

أراك فتحـــلو لـدي الحيـاة ويملأ نفسي صباح الأملْ

وتنمو بنفسي ورود عذابٌ وتحنو على قلبي المشتعلْ

ويفتنني فيك فيض الحياة وذاك الشباب الوديع النّملْ

ويفتنني سحر تلك الشفاه ترفرف من حولهن القبلْ

فكانت زوجته عندما تجده كئيبا حزينا متشائما تهون عليه وتمنحه من نفسها ما يرضيه.

* **موت والده:** توفي والد الشاعر، فكانت هذه الوفاة صدمة عنيفة هزّت كيانه، وهكذا في أوائل تشرين الأول من سنة 1929م نظم الشابي قصيدته الشهيرة: "**يا موت**" وصدّرها بقوله: « هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة، قلتها في أيام الأسى التي تَلَتْ نكبتي بوفاة الوالد ـ رحمه الله ـ »[3].

ومنذ ذلك الحين تبدلت حياة الشاعر وأصبح يشعر بثقل العبء، والألم في نفسه وقلبه وهذا لأنه حزن حزنا شديدا على وفاة أعز الناس على قلبه، كيف لا وهو الذي علمه

(1) محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص 119.

(2) ينظر، المرجع نفسه، ص 121.

(3) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبي القاسم الشابي، الجزء الأول، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ص ص 13، 14.

كل شيء وكوّنه إلى أن أصبح رجل متمكن من كل المعارف، فيقول أبي القاسم الشابي عن والده:

« إنه أفهم مني معاني الرحمة والحنان وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في هذا الوجود »[1].

فهذه الفاجعة كونت في نفسه ألما عميقا في حياته وشعره فنجده يرْثِ أباه ليسمع أنّته الجريحة فيقول:

"يا موت قد مزّقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري

وفجعتني فمن أحب ومن إليه أبثُّ سرّي

وأعدّه فجري الجميل إذا أدلّهم علي أمري

وأعدّه وردي ومزماري و كاستي وخمري" [2]

ولم يفقد أبو القاسم الشابي أباه فحسب، بل فقد راحته وهناءه أيضا. حيث كان عليه أن يدير معاش إخوته ويرعى شؤون الأسرة التي أصبح عائلها وعمادها وحياتها. فكان هذا العبء قد ألقي على كاهله وأثّر على نفسيته تأثيرا خطيرا. فلقد أحس بها قيدا يحرمه انطلاقة، ويجد به إلى الواقع الأليم كلّما أراد التهويم في سموات الفن والخيال[3].

وبهذا قد اعتلت صحته وانتفخ قلبه فصار ينتقل من طبيب إلى آخر.

*** مرضـه:**

أحس الشابي بالمرض فكان هذا المرض يشكل أكبر مأساة له، فهو كان يعلم بمرضه لكن أعراض الداء لم تظهر واضحة إلا عام 1929م، فكان منذ بداية عمره عليلا ضعيفا

(1) حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت لبنان 2005، 1426هـ، ص 585.

(2) محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي، دار النهضة العربية، بيروت، 1994، ص 122.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص 122.

البنية، نحيلا. لكن علّته لم تظهر آثارها إلا في السنوات الست الأخيرة من حياته تلك التي كانت ذروة إنتاجه الأدبي[1].

لقد أصيب الشابي بداء تضخم القلب في السنة التي فقد فيها والده، حيث كان في الثانية والعشرين من عمره، حينها نهاه الأطباء عن بذل أي جهد فكري أو جسدي، إلا أنه رغم ذلك لم يتوقف عن عمله شعرا ونثرا مما زاد في خطورة وضعه، فقرر الزواج بناء على رغبة والده بعد استشارة الطبيب، لكن حالته لم تتحسن، بل على العكس ازدادت سوءاً خصوصا وأنه كان يرهق نفسه أكثر مما يطيق قلبه المتعب[2].

ومن هذا كلّه نستخلص أن المرض كان له دورا في حياة أبي القاسم الشابي وهذا منذ صغره، فحياته كلها كانت آلام وأوجاع وأحزان اشتكى منها من الناحية النفسية والجسمية، إذ كان المرض كابوسا في حياته، حيث أصبح يراه في كل زاوية من الزوايا وفي كل مكان فغلب هذا المرض على عقله وتفكيره. فكان ملجئه إلى الغاب بين أحضان الطبيعة علّه سينسى مرضه، إذ نجده كئيبا حزينا متألما في أشعاره التي تعبر عن التشاؤم.

ب / المؤثـــرات الخـــارجية: [المجتمع، المذهب الرومانسي]:

إن أبا القاسم الشابي حطم كل القيود ونبغ في شعره أيّما نبوغ، فكان شعره متلألئ في كل الوجود، لكن كل هذا لم يأتي من فراغ بل كان نتيجة تأثره بعدة عوامل، فكما ذكرنا سابقا أنّ هناك مؤثرات داخلية وقد أثرت في نفسيته وجعلته يفجر كل مشاعره في قول الشعر كذلك هناك مؤثرات خارجية إذ تتجلى في النقاط التالية:

1/ المجتمـع:

نظرا للظروف السياسية والاجتماعية وعدم الاستقرار في المجتمع التونسي ووقوعه تحت وطأة الاستعمار من قبل العالم الغربي كان لهذا أثرا كبيرا في حياة هذا الشاعر وشعره وتشكيل شخصيته، حيث عاش الرجل في فترة سياسية عصبية، حين كان الوطن العربي

(1) ينظر، يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، الطبعة الأولى، 2009، ص 14.

(2) ينظر، حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، .، ص 585.

يعيش أياما حالكة السواد تحت ظلم المستعمر الغاشم، ويعاني أهل وطنه فقرا وظلما وقهرا اجتماعيا، وسياسيا وثقافيا لأن المحتل لم يكن يحرص على نشر التعليم في البلاد المحتلة حتى لا تتعرض مصالحه للخطر أو المقاومة وما فعله المحتل للبلاد العربية أنذاك من إرسال البعثات أو فتح مدارس الإرساليات إلا لخدمة أغراضه الخبيثة التي يقصدها، ومع ذلك فقد خرجت مجموعة قليلة عن أطر مارسه المحتل فقامت حركات الإصلاح والتجديد واستمدت قوتها من الآداب العربية القديمة، فكان الشابي واحد من هؤلاء الذي تهيأت له الظروف إذا ما عرفنا أنه من أسرة الشابية التي شهد لها سجل تونس أنها صاحبة باع طويل في القلم والسيف.

وعلى كل حال فإن شاعرنا صدق مع نفسه حين وصف حال الشعب في فترة حياته القصيرة، ولا ندري لو طالت له الحياة ماذا سيكون بعدها ولذلك أسمعنا "إرادة الحياة" وانطلقت معها أهازيج تثور على قيود الأسر متأهبة لخوض معركة حاسمة مع تلك القيود الظالمة فكانت أشعاره تثير مسالك الحياة إلى الثائرين والناقمين والطامحين لبناء مجد فتي وأدب خالد. فكان لهذا أثر واضحا في شعر الشابي الذي كان يفيض بالآلام والآمال عن البلاد التونسية[1]، فكان يقول في تونس:

"لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربع غدا العفاء مراحه

إنـــما عبـــرتي الخطب ثقيـــل قد عرانا ولم نجد من أزاحه

كلّـــما قـــام في البـلاد خطيب موقظٌ شعبه يريد صلاحه

كما نلاحظ أن شعره السياسي يفيض بالتشاؤم إذ كانت آلام شعب كامل وجراح أمة بأسرها. إذ يقول:

"يا قوم عيني شامت للجهل في الجو نارا

تتـلو سحـابا ركـاما يتلو قتاما مثارا

(1) ينظر: يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، ص 20، 59.

تلقي الشديـد صريعا تبقي الأديب حمارا" [1]

ومن قصيدته أيضا التي عنوانها: "إلى طغاة العالم" والتي مطلعها:

"ألا يا أيها الظالم المستبد حبيب الظلام وعدو الحياة

سخرت بأنّها شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه

وسرتَ تشوّه سحر الوجود وتبذر شوك الأسى في رباه" [2]

ومن خلالها نلاحظ أن أبا القاسم الشابي قد تأثر بمجتمعه الذي يعاني من الظلم والقهر من طرف الطغاة الظالمين، فكان الشعر هو سلاحه الموجه إليهم، إذ يتوقع أن العاصفة سوف تجهز على الظالمين ليبزغ فجر الحياة الجديد.

2/ المذهب الرومانسي:

لقد ظهر المذهب الرومنسي كتيار جديد مثّل بداية حقبة شعرية جديدة. كانت خروج عن التقليد وإدراج العاطفة والوجدان في صميم الشعر العربي، فغيرت بذلك فكره وحولته نحو اتجاه جديد مثّل في طياته الجو العام الذي كان سائدا أنذاك، فكان المذهب الرومنسي المنبر الذي يعبر فيه الشعراء عن حرقة فراقهم عن أوطانهم بسبب مستجدات الأوضاع السياسية ويبدوا جليا لنا أن الشعراء جنحوا إلى الشعر الرومنسي للتعبير عن الواقع المعاش وكان وراء ذلك عدة عوامل كانت السبب الرئيسي في إبداعهم ولا يخفى علينا أن الشعراء كان كل واحد منهم لديه خلفية وتأثر بشاعر سبقه نهج على نهجه فأغلب الدراسات تتفق على أن "أبا القاسم الشابي" قد تأثر "بجبران خليل جبران" وذلك لأنه كان أخلص تلاميذه أنبغهم وكما يقال: أن التلمذة تعني التشابه في الخصائص الفنية بين التلميذ وأستاذه، وكذلك فلسفة الحياة، ومن المواضيع التي تأثر بها الشابي على جبران تذكر: [الحرية، الحياة، المرأة الحب، التمرد،...وغيرها].

(1) محمد الأمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبي القاسم الشابي، ص ص 12، 24.

(2) المرجع نفسه، ص 260.

ولهذا ارتفع بالمرأة في أدبه عن الحدود المادية، فتغزل بها بعيدا عن التدني إلى جسدها وكان يقول: « إن الكتاب والشعراء يحاولون إدراك حقيقة المرأة، ولكنهم للآن لم يفهموا أسرار قلبها ومخبآت صدرها لأنهم ينظرون إليها من وراء نقاب الشهوات، فلا يرون غير خطوط جسدها، أو يضعونها تحت مكبرات الكره، فلا يرون فيها غير الضعف والاستسلام»[1].

إذ كان تأثر الشابي بهذا المذهب في أشعاره التي نلمحها عند قراءتنا لديوان أغاني الحياة حينما تغنى بحبيبته وزوجته إذ يقول:

« يا ابنة النور، إنني أنا وحدي

من رأى فيك روعة المعبود

فدعيني أعيش في ظلّك العذب»[2]

هذا عن المرأة، أما عن صفة التمرد فهي صفة بارزة في فلسفة حياة جبران فتأثر بها الشابي إلى حد كبير وذلك باعتبار هذه الصفة تهدف إلى أن تعيد للإنسان كرامته وتعمل على تحريره من جميع القيود ولذلك كانت حملة عنيفة موجّهة إلى الكهانة فيرى جبران في هذا الصدد: "إن الكهانة هي الحرفة الأولى التي اتبعها الإنسان بدون حاجة حيوية أو داع طبيعي لها"[3].

ونجد هذه الفكرة لدى الشابي في قوله: مُلئ الدهر بالخدع، فكم ظلّ الناس من إمام وقس. ومن هنا فإن أغلب الدراسات اتهمت الشابي بالخروج عن الدين، كما اتهم جبران أيضا بالتطرّف ومحاربة الكنيسة وكان هذا نتيجة إحساسهما بالغربة في المجتمع فكان جبران ينشد: " أنا غريب في هذا العالم، وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة، غير أنها تجعلني أفكر أبدا، بوطن سحري لا أعرفه، وتملأ أحلامي بأشباح أرض فضيّة ما رأتها عيني أنا

(1) خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، الدار العربية للكتاب، الطبعة الرابعة، 1298هـ/ 1978م، ص 49، 50.

(2) محمد الأمين الشابي، الأعمال الكاملة، أبي القاسم الشابي، ص 181.

(3) خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران، ص 50.

غريب، وليس في الوجود من يعرف كلمة نفسي. أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة، وأنثر ما تنظمه، ولهذا أنا غريب وسأبقى غريبا حتى تخطفني المنايا، وتحملني إلى وطني "[1].

كذلك نلاحظ أن أبا القاسم الشابي كان متأثرا بجبران في هذه النقطة من خلال قوله: "إني أنا الروح الذي سيظلّ في الدنيا غريب ويعيش مضطلعا بأحزان الشبيبة والمشيب، يا صميم الوجود كم أنا في الدنيا غريب أشقى بغربة نفسي، بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معان بؤسي"[2].

وبهذا نخلص إلى أن أبا القاسم الشابي قد تأثر بالأدب المهجري عامة وبجبران خاصة فالباحثون في حاجة إلى أن يلتقوا إلى أدب جبران خليل جبران، أكثر من أديب آخر فأسلوب الشابي النثري متأثر بجبران وأسلوبه الشعري أيضا، وأفكاره متأثرة به. كذلك نجده متأثرا بـ "مخائيل نعيمة" و "إيليا أبو ماض" فكان إعجابه بهم نابع من ترسم صور وجدانية وفكرية لهذه الآداب في حداثة سنه إذ نجد العمليات الذهنية ترْجمت عنده فنجده يجيد في تصوير ألوان رائعة من الخيالات والأحلام، حيث قلّدهم في آدابهم و سلوكاتهم وربما فاق الشابي على رأي "أبي القاسم محمد كرّو" من تأثر بهم حيث يقول: « غير أن الشابي أعمق من جبران وأصدق تصويرا »[3].

فمن المعروف أن الأدب المهجري له ميزات كثيرة، ومنها أنه يمتاز بتبرمه الناعم وثورته الجامحة، وصوفيته الحالمة وقد يصل إلى مثالية مجنحة في الحب والحياة والآمال وهذه الأفكار ربما قد جذبت نفس الشابي وأثرت فيها.

إضافة إلى تأثر الشابي بانتقادات "ميخائيل نعيمة" التي وجّهته إلى الاستفادة من أخطاء مدرسة "شوقي"، "وحافظ" ولذلك نجده يعرف الشعر بقوله: "الشعر هو ما تسمعه وتبصره في ضجة الريح وهدير البحار، وفي بسمة الوردة الحائرة يدور فوقها النحل، ويرفرف حواليها

(1) خليفة محمد التليسي، الشابي وجبران ، ص 51.

(2) المرجع نفسه، ص 51.

(3) ينظر: يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره، ص 24.

الفراش، وفي النغمة المغردة ووسوسة الجدول ودمدمة النهر، ومطلع الشمس، وخفوق النجوم"[1].

وهذه تشبه نظرية "ميخائيل نعيمة" في "الغربال".

وإلى جانب تأثره بالأدب المهجري يجدر بنا الإشارة إلى نقطة أخرى كانت من المؤثرات التي أثرت في أبي القاسم الشابي. وهي "**جماعة أبولو**" هذه المدرسة الأدبية التي أقامها الدكتور "أحمد زكي أبو شادي" في سبتمبر 1932م حيث تمتاز بدعوتها إلى التجديد وقد ضمت في عضويتها العديد من شعراء العربية وأدبائها في مصر وغيرها من بلاد العرب حيث انتسب أبو القاسم الشابي إلى هذه الهيئة التي طالما قرأ مجلاتها وتأثر بها تأثرا مباشرا، كما وجد فيها ما يروي ظمأه في تطلعه نحو الجديد، ونشرت له هذه المجلة بعض قصائده قبل أن ينتسب إلى عضويتها، ولكن سرعان ما اشترك فيها وقوبل اشتراكه بالترحيب، وإلى جانب هذا قد ربطته صدقات حميمة بعدد من أعضاء هذه الهيئة أمثال: إبراهيم ناجي، عبد العزيز عتيق، أحمد زكي الذي كان شديد الإعجاب بأبي القاسم الشابي.

فمن خلال كل هذا التأثير برزت ذاتية الشاعر الخاصة وأصبح له حدسه ولحنه ومدرسته المميزة عن مدرستي المهجر وأبولو وهي المدرسة التي سماها "محمد صالح الجابري" "**بالثالوث الرومانسي**" بتونس وتقوم مدرسته على التمرد على الأدب التقليدي، فهو معجب "بالعقاد" متعصب له على "الرافعي"، وقد حمل على هذا الأدب، وركز أرائه ومذهبه الأدبي في محاضرة أثارت ضجة كبرى في الأوساط الأدبية أنذاك وهي "الخيال الشعري عند العرب" ضمنها أرائه في الشعر العربي القديم واتخذ منها منهجا يسير عليه، فيما أنتج بعد ذلك وبذلك استطاع أن يخلص لمذهبه إخلاصا رائعا وأن يظل أمينا على هذه المبادئ التي تسربت إليه من مطالعته[2].

---

(1) نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات بجامعة الجزائر 1984، ص 284.

(2) ينظر: المرجع السابق صفحة 285.

وكما لا يفوتنا أن ننوه إلى أن الشابي قد تأثر بقراءته للآداب الأجنبية، فألح على قراءة ما ترجمه منها: أعلام الأدب العربي في مصر، فكثير ما قرأ الشاعر الرومانسية "لامرتين"

وما ترجم من آثار "دي موسي"، و"وهو جو" ....وغيرهم.

كان لقراءاته هذه أبعد الأثر في تجربته الشعرية، بل إنه تحيّر عبقريته ووجدت في الرومانسية الشائعة في كتابات الكتّاب حينذاك تحقيقها لأحلامها وآمالها، وكان كل شيء في الجو الأدبي مساعدا على تمكين هذا المزاج الرومانسي فيه وكان هذا المزاج الذي ظهر في شعره.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: مصادر الإلهام الشعري عند الشابي

1- الرومانطيقية

2- الطبيعة

3- المجتمع

4- الأسرة

5- الذات

أولا: الرومنطقية:

لا يمكن أن ينطبق مصطلح الرومنطقية بدقة على حالة ذهنية نوعية أو على زاوية نظر معينة أو على تكنيك أدبي محدد، و الرومنطقية كحركة نشأت بطريقة تدريجية جدا بأوجه متباينة جدا في أجزاء كثيرة من أوروبا، بحيث أصبح الوصول إلى تعريف جامع لها ضربا من المستحيلات، وقد اقترح "فيكتور هيقو" أن تكون الفكرة المهيمنة على الرومنطقية هي الليبرالية في الأدب وتحرير الفنان من القيود والقواعد التي فرضها الكلاسيكيون وتشجيع الأفكار السياسية الثورية كما يقترح كاتب آخر وهو " وولتر باتر" (1839- 1894) أن إضافة الغرابة إلى الجمال هو ما يشكل الروح الرومانسية للعصر وقد أكدّ آخرون أن ما يسمى بالمزاج الرومانسي هو رغبة في الهروب من الواقع وخاصة الواقع الكئيب.

وتبدو تلك الحركة الرومنطقية واسعة الانتشار التي ينتمي إلى القرنين الثامن والتاسع عشر[1].

ويمكن أن تسمى الرومنطقية لتحديد نوعيتها موقفا أدبيا يعتبر الخيال أكبر أهمية من القواعد والعقل (في مواجهة الكلاسيكية ومن الحس بالواقع والحقيقة في مواجهة الواقعية).

و الرومنطقية كما تنطبق على الثورة الاجتماعية والسياسية والأدبية التي اندلعت في أوروبا الغربية من عام 1798م حتى 1832م لها متضمنات سيكولوجية، وتومئ إلى تغييرات في الموقف من التجربة الإنسانية التي ينبع منها الأدب، ومن بين تلك التغيرات التأكد المتزايد على الفرد في مقابل العرف والتقليد الاجتماعيين والتأكيد على الغوامض، وما هو فوق الطبيعة أي الغرابة والروعة في مقابل الفهم المشترك، وعلى اللامتناهي في مقابل المتناهي والتأكيد على الخيالي والانفعالي في مقابل العقلي والنداء الموجه إلى القلب في مقابل النداء الموجه إلى العقل.

(1) إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، طبع التعاضدية العالمية للطباعة والنشر، صفاقس، ص187.

ومن ناحية التأثير نجد الرومنطقية موقفا أدبيا وفلسفيا يتجه نحو وضع الفرد في مركز الحياة والتجربة وهي تمثل تحولا من الموضوعية إلى الذاتية، وقد أسهمت تلك التصورات في تأسيس عالم حديث دافع عن درجة من درجات الديمقراطية.

ومن هذه الناحية نجد أن الرومنطقية تمثل مصدر إلهام أفكار الشابي حول الشعر خاصة وأن الشعر في عصره قد فقد ركائزه الفنية بحكم استعماله لأغراض عملية ودعائية كالأشعار الوطنية والاجتماعية والأخلاقية وكمجرد تمارين أدبية يضفي عليها الطابع الكلاسيكي.

فالشابي قد تأثر بالرومنطقيين لعلّه يجد راحة لنفسه المتمردة، ففي الغاب الذي توجه إليه عودة إلى الفطرة وعالم الغاب بالمفهوم الرومنطقي عالم خيالي عاطفي، والحديث عنه يدل على إحساس الشاعر بالغربة وهو بين أهله وقومه هذا الإحساس يتطور مع مرور الزمن إلى ملل واشمئزاز من الذين يتمسكون بأعراف بالية لا يقرها عقل ولا تتوافق مع الدين إذ جعل الشابي من الشعر منطلقا ليعبر عن ذاته، وما يعتلج فيها من هموم سواء ما تعلق منها بالذات أو ما تعلق بالآخرين.

والنزعة الرومنطقية هي عنصر مهم من العناصر التي يقوم عليها شعر الشابي كله فنجد فيها التشاؤم، والألم ثم التفاؤل، إضافة إلى الرمز:

1/ التشـــاؤم:

بما أن الظروف المحيطة بالشاعر وكما هو معلوم بأنها ظروف قاسية خلقت لدى الشاعر في نفسيته ذلك النوع من الإحساس بفقدان الأمل وهذا ما دفعه إلى الاكتئاب والتشاؤم والتقوقع على نفسه، وهنا يحاول الأستاذ "محمد الحليوي" أن يجعل تشاؤم الشابي أطوارا مختلفة.

الطور الأول: كان تشاؤما قائما في صباه بسبب انكبابه على قراءة "المعري" و"جبران"، وإن كان الأديب الليبي "خليفة التليسي" يرى أن السبب راجع إلى تأثير مرحلة المراهقة التي تعيش في عالم الأحلام، وفي العكوف على الملذات والاستجابة إلى الخيال ولأن الرومانسية

بصفة عامة أقرب إلى أرواح المراهقين بما يحيط بها من غموض محبب وكآبة لذيذة وخيال وقاد.

الطور الثاني: تشاؤم الشابي في رأي "الحليوي" هو التشاؤم المصحوب بالتعليل وحزنه ومبعثه الحيرة.

الطور الثالث: يتميز بتغلب الشابي على تشاؤمه[1].

يقول:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء [2]

ونستنتج هذا التغيير المفاجئ من قول الشابي نفسه في رسالة بعث بها إلى صديقه "الحليوي" يقول:

«... وإنما الفرق بيني وبين نفسي الأولى أنني كنت أتقبل آلام الحياة وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة وقلب دامع باك، أما الآن فإنني ألقاها ببسمة الساخر ونظرة العالم المنتشي بجمال الوجود »[3].

وإذا أردنا التمثيل لهذا المصدر فإننا نجد قصائد متعددة نظرا للحقبة التاريخية التي عاش فيها ومن بين هذه القصائد اخترنا قصيدته: "إلى قلبي التائه" من ديوانه "**أغاني الحياة**" والتي يقول فيها:

ما لآفاقك يا قلبي سودا، حالكات؟

ولأورادك بين الشوك صفرا، ذاويات؟

ولأطيارك لا تغلو؟ فأين النغمات؟

ما لمزمارك لا يشدو بغير الشهقات؟

ولأوتارك لا تخفق إلاّ شاكيات

---

(1) محمد مصطفى هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1994، ص133.

(2) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، الجزء1، الدار التونسية للنشر أكتوبر 1984، ص131.

(3) المرجع نفسه، ص132.

ولأنغامك لا تنطق إلاّ باكيات

ولقد كانت صباح الأمس بين النسمات

كعذارى الغاب، لا تعرف غير البسمات؟

هو ذا يا قلبي البحر وأمواج الحياة!

هو ذا القارب مشدودا إلى تلك الصفاة!

هو ذا الشاطئ! لكن أين ربانك؟ مات!

أين أحلامك يا قلبي؟ لقد فات الفوات!

تلك أطيار، أنيقات، طراب، فرحات

غرّدت، ثم توارت في غيابات الحياة (1)

إذن من خلال القصيدة نلمس أن الشابي يطرح عدة تساؤلات، في مقدمة أبياته فهو يعتبر من خلالها عن حالته النفسية التي آلت إلى التشاؤم بعد الوضع الاجتماعي الذي صاحبه، فهو يبكي تلك الأيام أين كان الفرح والسرور يملأن حياته، وفي لحظة ما حدث انزياح فأصبح السواد أنيسه اليومي، وتحولت حياته إلى أسئلة لا يعرف أجوبتها فهو مندهش من التحولات التي فرضتها عليه قساوة الحياة ومرارتها.

ومن خلال بائيته الموسومة بـ "السآمة" يصف لنا الشاعر تلك الحياة التي سئمها لما لقي فيها من الحسرة والعذاب، باكيا ذهاب فجر الشباب وحل محله ذلك الاكتئاب والأسى والصمت، الصمت الذي أصبح مخيما في حومته، فهو يناجي تلك الأيام المليئة بالأحلام وذلك الانتقال الجوهري من الفرح إلى التشاؤم إذ يقول:

سئمت الحياة وما في الحياة وما إن تجاوزت فجر الشباب

سئمت الليالي وأوجاعها وما شعشعت من رحيق بصاب

فحَّطمتْ كأسي، وألقيتُها بوادي الأسى وجحيم العذابْ

فأنتْ، وقد غمرتها الدموع وقرّتْ، وقد فاض منها الحبابْ

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، ص ص131، 132.

وألقى عليها الأسى ثوْبه وأقْبَرَهَا الصمت والاكتئابْ
فأين الأغاني وألحانها؟ وأين الكؤوس؟ وأين الشراب
لقد سحقتها أكفُّ الظلام وقدر شفتْها شفاهُ السراب
فما العيش في حومة بأسها شديد، وصدّاحها لا يجابُ
كئيب، وحيد بآلامه وأحلامه، شدْوُهُ الانتحابْ
دوتْ في الربيع أزاهيرها فيمن وقد مصَّهنَّ التراب
لَوَيْنَ النُّحورَ على ذِلّةٍ ومُتْنَ، وأحلامهنَّ العذاب
فحال الجمال، وغاض العبير وأذوه الرّدى سحرهنَّ العُجاب (1)

يقول الشابي:

يا صميم الحياة! إني وحيد مداج، تائه، فأين شروقك؟
يا صميم الحياة إني فؤاد ضائع، ظامئ فأين رحيقك؟
لم أجد في الوجود إلا شقاء سرمديا ولذة مضمحلة (2)

إذن فمن خلال هذه القصيدة التي هي بعنوان "الأشواق التائهة" يعبر عن مأساته المتمثلة في تبخر طموحاته وآماله في أجواء الوجود فهو متشائم من وحدته وتائه وينادي صميم الحياة على ضياع فؤاده يقول بأنه لم يجد في الوجود إلا الشقاء واللّذة الزائلة، إذ يعيش في هذا العالم متقلبا، شاكيا، باكيا من الحياة التي يعيشها.

ومع العلم أن الحزن والتشاؤم لم يفارق هذا الشاعر فنجده في قصائده التي يتحدث فيها عن الحب، فما أكثر تلك القصائد الصارخة بآلام محبّ ومعذبّ، فقد ماتت من يهواها قلبه ومن يحن إليها فؤاده، لقد ضاعت منه حبيبته فيقول:

مات الحبيب وكل ما قد كنت ترجو أن يكون
وأرق طمر الحب في وادي الكآبة والأنين (3)

(1) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة، ص 65، 66.
(2) المرجع نفسه، ص164.
(3) المرجع نفسه، ص164.

الشاعر حزين لموت حبيبته، كئيب فكل ما كان يرجو أن يكون قد ذهب فأحلامه تبخرت.

2/الألـــم:

إن آلام الدهر ونكباته أصبحت تشكل حرقة في نفس الشاعر فهو مرهف الحس رقيق المشاعر يتألم حتى في أبسط الأشياء، فتلك الذكريات الأليمة التي عاشها جعلته يتألم، فهي منقوشة على صدره فكلّما تذكر تألم، وهذه السمة قد طغت على شعر شاعرنا وأصبحت لا تفارقه فقصيدته المعنونة "بالزنبقة الداوية" خير دليل على ذلك يقول:

أزنبقة السفح؟ ما لي أراكِ تعانقك اللّوعة القاسية؟
أفي قلبك الغض صوت اللهيب يرتل أنشودة الهاوية؟
أأسمعك الليل ندب القلوب أأرشفك الفجر كأس الأسى؟
أصبّ عليك شعاع الغروب نجيع الحياة، ودمع المسا
أأوقفك الدّهر حيث يفجّر نوح الحياة صدوع الصدور؟
وينبثق الليل طيفا، كئيبا لهيبا ويخفق حزن الدهور؟
إذا أضجرتك أغاني الظلام فقد عذّبتني أغاني الوجود
وإن هجرتك بنات الغيوم فقد عانقتني بنات الجحيم (1)

إن الشابي هنا لا يقف حيال الزنبقة لكي يصفها، وإنما ليبثها شكواه، ولقي عليها أسئلة باتت تعذب نفسه وقد أمست تلك الزنبقة أنيسته في آلامه وأحزانه وشريكته التي تقاسمه لوعته، لوعة الأسى والسجون فإذا كانت أغاني الظلام قد أضجرت الزنبقة، فإن أغاني الوجوم قد عذبت نفس الشاعر، وإذا كانت السماء قد حبست عنها غيثها فإن اللوعة الحارقة قد لزمت قلبه المتألم الحزين المسكين.

كما نجد أيضا الألم يتجلى في قصيدته التي مطلعها:

(1) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة، ص 151.

أيّها الليل الكئيب!

أيّها الطّيف الغريب!

من وراء الهول، من خلف نقاب الظلمات

في خلاياك تراءت لي أحزان الحياة

ها أنا أرنو فألّفيك كجبار حطيم

ساكنا، جلّلك الحزن وأضناك الوجوم

هائجا طافت بأشعارك أحلام غضابُ

صامتا تصغي لأنات الأسى، والانتحاب

رابطا كالهول في إحدى زوايا الهاوية

ساكبا في راحة الفجر، الدموع الدامية

ضل من سمّاك، يا ليل بني الحزن! بهيم

إنما أنت بما تحويه من شجوٍ، رحيم (1)

ونجد الشابي يقول:

أرأيت شحرور الفلا مترنما بين الغصون

جمد النشيد بصدره لمّا رأى طين المتون (2)

فهنا أصبحت حياته عبارة عن ظلام وأشباح موحشة ومخيفة.

وبكل هذا الشقاء والآلام والأحزان التي عاشها الشابي زاده مجتمعه التونسي الذي كان مجتمعا مريضا في جسده وروحه، خاليا في تفكيره كآبة ولوعة حارقة حين يقول لشعبه:

أيها الشعب ليتني كنت حطابا فأهوي على الجذوع بفأسي

ليت لي قوة العواصف يا شعبي فألقي إليك ثورة نفسي

ليت لي قوة الأعاصير إن صحت فأدعوك للحياة بنسبي

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبي القاسم الشابي، ج1، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ص ص 287، 288.

(2) أبو القاسم الشابي، د،ط، دار صالح تلانقيت للنشر والتوزيع، ص38.

أنت روح غيبة تكره النور وتقضي الدهور في ليل لمس

في صباح الحياة ضمت أكوابي وأنزعتها بخمرة نفسي (1)

إذن من الأبيات يتضح لنا أن الشاعر يتمنى أن يكون حطابا لكي يهوي بفأسه على الجذوع، كما يتمنى أن تتوفر لها قوة العواصف والأعاصير كي يدافع بها عن شعبه الذي طالما تمنى أن يستفيق من سباته ويواجه عدوه الظالم. هذا الظالم الذي حطّم الآمال والأحلام وقضى على الشعب التونسي وجعل منه جثة هامدة.

ومن خلال كل هذا يتضح لنا أن الشابي رغم الآلام إلا أنه كان دائما متطلعا إلى غدٍ أفضل.

إن ألم الشابي كبير جدا فالآلام التي كانت تحاصره تحولت إلى في ناظره إلى رؤوس أفاعي تمتد إليه فتمنعه من السير لا بل ترده إلى فراش المرض بل الموت وقد عبر عن ألمه وحزنه بناي شعره الذي أخذ يشدو عليه أغاني مشجية نظمها والدموع تنهمر من عينه، لذلك تعد من أحلى أغانينا في العصر الحديث لأن الشاعر بللها بدموعه وهو يكتبها فهي تصور ألما حقيقيا، وخير دليل على ذلك "قصيدة الأحزان" التي يقول فيها:

حطمت كف الأسى قيثارتي في يد الأحلام

فقضت صمتا أناشيد الغرام بين أزهار الخريف الذاوية (2)

وهنا يرى الشاعر أن الآلام قد حطمت نفسيته وقضت على كل أحلامه التي تلاشت في ظلام الليالي الحالكة.

كف عن تلك الأغاني الباسمة أيها العصفور فحياتي ألفت لحن الأسى

من زمـــان قد انقـــضى وعسى أن يثير الشدو في صمت الفؤاد أنه الأوتار

وفيها يأمر العصفور بعدم التغريد كونه قد ألف العزلة والحزن والحياة الأليمة التي لا تحتوي على أي مظهر من مظاهر الفرحة.

---

(1) المرجع نفسه: ص103.

(2) أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص44.

يقول:

لا تغني أغاريد الصباح بلبل الأفراح

ففؤادي وهو مغمور الجراح بتباريح الحياة الباكية

وفي هذه الأبيات اعتبر فؤاده قد مات فانطوى إذ لا يحيه لا أغاريد الصباح ولا بلبل الأفراح.

إن الشابي رومانسي النزعة وهذا ما جعله يشفي ظمأه من خلال آلامه، فهو محب للعزلة والحزن والكآبة أكثر من صحبته لغناء الطيور فهو لا يردعه شيء عن الشعور بالألم لأنه كان يرى فيه كل الآمال والأحلام تلك الأحلام التي تتساقط أمام عينيه كأنها أوراق أشجار، وما لقصيدته "مأثم الحب" إلا دليل على انهمار دموعه فها هو يقول:

في الدياجـــي كم أناجـــي

مسمع القبر بعصا ت نحيبي وشجوني

ثم أصغي على أس مع ترديد أنيني

فأرى صوتي فريد مات حبـي

فأذرفي يا مقلة الليـ ل الدراري عبرات

فوق قلبي فهو قد ود ع أفاق الحياة [1]

إن الألم والجراح الناتج عن مرض الشابي ومحاولته التعبير عن فرحه وإحساسه ينعكس عليه عند اقترابه من ذلك الإحساس فيعصر الأسى قلبه فالسعادة التي كان يشعر بإحساسها قد سرقت من بين عينيه، فالشابي قد فقد إحساسه بالحياة لأنه أحس بدنو الموت منه واقتراب أجله، لذا فهو لا يملك دافعا ليواصل الحياة، فأحلامه قد أصبحت أوراق متساقطة مثل تساقط الأوراق من الأشجار في فصل الخريف والشتاء.

(1) أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص38.

3- **التفاؤل:**

كما يكون الشاعر متشائما فهو حتما سيكون متفائلا فرغم أن شعر الشابي مليء بالآلام والأحزان إلا أننا نلمح أيضا التفاؤل في شعره وذلك من خلال قوله:

كان في قلبي فجر ونجوم وبحار، لا تُغشيها الغيوم
وأناشيد وأطيار تحوم وربيع، مشرقٌ، حلوٌ، جميل
كان في قلبي صباح وإياه فابتسامات، ولكن ... وأساه
آه، ما أهول إعصار الحياة آه إما أشقى قلوب الناس! آه!
كان في قلبي فجر ونجوم
فإذا الكل ظلام وسديم
كان في قلبي فجرٌ، ونجوم (1)

إذن من خلال هذه الأبيات نلاحظ أن الشابي يحاول إيجاد نفسه على الصبر داعيا شجونه وجراحه إلى السكون لإحساسه بأن فجر الصباح قريب، أي أنه يتفاءل بفجر صباح قريب، فهو لن يقطع الأمل بل سيظل متفائلا فحتى وإن كان الظلام حالكا، فإن الفجر سيبزغ يوما وإن كان الكل ظلام وسواء فإن قلبه كان فيه الفجر والنجوم المضاءة وسيظل متفائلا بالنور.

وكذلك من خلال قوله:

سأظل أمشي رغم ذلك عازفا قيثارتي مترنما بغنائي
أمشي بروح حالم، متوهج في ظلمة الآلام والأدواء
النور في قلبي وبين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلماء؟
إني أنا الناي الذي لا تنتهي أنغامه مادام في الأحياء
وأنا الخضم الرحب ليس تزيده إلا حياة سطوة الأنواء (2)

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي الجزء1، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ص129.
(2) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، ص253.

إذن هذه الأبيات تحمل فكرة تفاؤل الشاعر بالمستقبل والسعادة والخلاص من مآسي الحياة، كما يستمر الشاعر في تحديه بأنه سيبقى مستمرا صامدا وسيظل مترنما بشعره مصرا على الصمود كالنجم المتوقد في الظلام أو من خلال آلام المرض، فالأمل يحدّه من كل الجوانب فهو في قلبه وضلوعه لهذا لن يخشى من السير في الظلام الدامس وسيبقى حيا بنايه وأنغامه التي لا تتوقف ولا تنتهي، فهو يشبه نفسه بالخضم الواسع الذي تلاطمه الأمواج وشدتها ولكنها لا تزيده إلا إصرار وعزيمة.

ثم يقول:

أما إذا خمدت حياتي وانقضى عمري وأخرست المنية نائي

وخبا لهيب الكون في قلبي الذي قد عاش مثل الشعلة الحمراء

فأنا السعيد بأنني متحول عن عالم الآثام والبغضاء

لأذوب في الجمال السرمد يٌّ وأرتوي من منهل الأضواء (1)

فهناك يقول إذا انقضى الأمر وانتهت حياته، وتوقف نايه وانطفأ القلب الذي كان حياة مشتعلة قوية، فهو سعيد لأن الموت هو انتقال من حياة الآلام والأحزان والبغضاء ليذوب في فجر الجمال والخلود والسعادة الدائمة والنور الساطع في الدنيا الأخيرة:

كما نجده يقول:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشَّماء

أرنو إلى الشمس المضيئة هازئا بالسحب، والأمطار والأنواء

لا أرمق الظل الكئيب ولا أرى ما في قرار الهوّة السوداء (2)

إذن الشاعر متفاءل رغم دائه وأعدائه فهو يشبه نفسه بالنسر فوق القمة الشماء فهو حين يقترب من الشمس المضيئة، كما لا تخيفه السحب والأمطار والأنواء، ولا يرى الظل الحزين ولا يرى ما في الهوة السوداء.

(1) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة، ص253.

(2) المرجع نفسه: ص252.

من خلال قصيدة "نشيد الجبار" ارتئ لنا أن أبا القاسم الشابي بدا متفائلا، وأما في قصيدته الموسومة بـ "الصباح الجديد" فهو يبدو متفائلا أكثر حين يقول:

أسكُني يا جراحْ واسكتي يا شجونْ
مات عهد النّواحْ وزمانُ الجنونْ
وأطلّ الصباح من وراء القرونْ
في فجاج الرّدى قد دفنت الألمْ
ونثرت الدُّموع لرياح العدمْ
واتخذت الحياة مِعزفا للنَّغمْ
أتغنّى عليه في رحاب الزمانْ
وأدبتُ الأسى في جمال الوجودْ (1)

إذن فالشابي هنا يريد من جراحه أن تسكن وشجونه تسكت يقول بأن عهد النواح والجنون قد مات وأقبل الصباح الجديد قد دفنه ولم يعد له وجود، والدموع قد نثرها مع الرياح فهو قد جعل من الحياة معزفا يتغنى عليه، فالأسى قد أذابه في جمال الوجود. إن أبا القاسم الشابي يتفاءل بصباح جديد وحياة سعيدة.

ثم يقول في قصيدته التي عنوانها: "أكثرت يا قلبي فماذا تروم"

يا قلبي الدامي! إلام الوجومْ ؟
يكفيك! إن الحزن فظٌّ غشوم
هذي كؤوسي مُرّة، كالردى
ما مِلؤُها إلا عصير الهموم
وذاك نايي صامت، واجمٌ
يُصغي إلى صوت الغرام القديم

(1) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، ج1، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ص ص 230، 231.

يا قلبي الباكي إلام البكا ؟

ما في فضاء الكون شيء يدوم

فانثر غبار الحزن فوق الدجى

واسمع إلى صوت الشباب الرخيم

وانقر على دقّ الهوى لحنّه

وارقص مع النور الضّحوك الوسيم [1]

إن الشابي من خلال هذه الأبيات ينادي قلبه المجروح الحزين يقول له يكفيك وجوما وحزنا، فإن الحزن غشوم والكؤوس أصبحت مملوءة بالهموم، فيسأل قلبه إلام البكاء، ففي هذه الدنيا لا يوجد شيء يدوم، فهو يحثه على أن ينثر غبار الحزن وأن يسمع إلى صوت الشباب، الشابي يتفاءل بالنور يريد التخلص من الآلام والهموم والأحزان، فإن كل ما في فضاء الكون لن يستمر في الوجود.

4/ **الـــرمـز:**

" هو شيء يعتبر ممثلا لشيء آخر وبعبارة أكثر تخصيصا فإن الرمز كلمة أو عبارة أو تعبير آخر يمتلك مركبا من المعاني المترابطة وبهذا المعنى ينظر إلى الرمز باعتباره يمتلك قيما تختلف عن قيم أي شيء يرمز إليه كائنا ما كان وبذلك يكون العلم وهو قطعة من القماش يرمز إلى الأمة والصليب يرمز إلى المسيحية والصليب المعقوف يرمز إلى النازية، كما استخدم الكثير من الشعراء الوردة رمزا للصبا والجمال "[2].

ولقد جاء الرمز في شعر الشابي متداخلا ومركبا، حيث كشف فيه عن صراع الأضداد مستخدما أكثر من رمز بدلالة واحدة فمثلا: نجد لفظتي الليل والمساء قد ورد بدلالة واحدة كما نجد الفجر والصبح والصباح والربيع، كما نجد أيضا الليل والحلم أو الخوف والربيع كل هذه الألفاظ وردت بدلالة واحدة ونستطيع أن نفهم هذه الدلالات من خلال القصائد الواردة:

(1) المرجع نفسه: ص134، 135.

(2) إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ص171.

يقول:

لست أبكي لعسف ليل طويل أو ربيع غدا العفاء مراحه[1]

إنما عبرتي لخطب تقيل قد عرانا ولم نجد من أزاحه

فمن خلال هذه الأبيات نلاحظ أن أبا القاسم الشابي قد استخدم الليل رمزا للظلم والحزن وقتل الأحلام البريئة، كما استخدمه صورة للغربة والرهبة والضعف.

فهو في هذه الأبيات قد ركب صورة الليل مع العسف الطويل إذ نجده يتحدث عن المستعمر الذي طال بقاؤه على أرض تونس الجميلة مع وضوح ضعفه اتجاه هذا المحتل الظالم وهو لا يملك إلا العبرة أي (الدمعة) التي يصرح بها اتجاه هذا المظهر فهي رمز للظالم والظلم.

يقول أيضا:

أزنبقة السفح مالي أراك تعانقك اللوعة القاسية

أأسمعك الليل ندب القلوب أأرشفك الفجر كأس الأسى [2]

فهو يحدث زنبقة السفح التي يراها تعانقها اللوعة القاسية وهذا رمز للظلم والحزن، كما نجده وظف الليل رمز للحزن والألم وكذلك الفجر الذي يقول فيه للزنبقة أأرشفك الفجر كأسا الأسى أي الحزن والألم فالليل هنا يسمع ندب القلوب الحزينة المتوجعة الباكية ولهذا نلمس عدة قراءات لمصطلح الليل منها:

- الليل رمز للطيف يقول:

إن ليل النفوس لليل مريع سرمدي الأسى شنيع الخلود

ينبثق الليل طيفا كئيبا رهيبا ويخفق حزن الدهور [3]

- الليل رمز للغربة يقول:

---

[1] محمد أمين الشابي :الأعمال الكاملة أبو القاسم الشابي، الدار التونسيةَ للنشر، أكتوبر 1984، ج1، ص 67.

[2] المرجع نفسه:ص51.

[3] المرجع نفسه :ص158.

السعيد السعيد من عاش كالليل غريبا في أهل هذا الوجود [1]

- الليل رمز للأشباح يقول:

وكم رأى ليلك الأشباح هائمة مذعورة تتهاوى حولها الرجم [2]

- الليل رمز للألم والبؤس والرّهبة يقول:

أيها الليل يا أبا البؤس والهول يا هيكل الحياة الرهيب

أنت يا ليل ذرة صعدت للكون من موطئ الجحيم الغضوب [3]

- كما نجد الليل في شعر الشابي رمز للحب والجمال والسحر والأحلام والهدوء والسكينة، يقول الشابي:

وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون

معبدا للجمال والحب شعريا مشيدا على فجاج السنين [4]

فهو من خلال هذين البيتين يوضح لنا أن الليل يمتلئ بالأحلام فقد بنى بينه وبين حبيبته معبدا للجمال، ومع ذلك فقد صور الشابي بين رموزه الكثيرة عن الليل أنه لابد أن ينقطع ظلامه وقيده في صورة مركبة.

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي ولابد للقيد أن ينكسر [5]

لابد لليل أن ينجلي: أي أن يزول.

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، ص120.

(2) المرجع نفسه، ص152.

(3) المرجع نفسه، ص 74.

(4) المرجع نفسه، ص 133.

(5) المرجع نفسه، ص 236.

لابد للقيد أن ينكسر: أي أن ينكسر قيد المستعمر شرط أن يطلب الشعب الحياة فيتحرر من المستعمر الظالم، وأمام قوة الشعب لابد أن تأتي الحرية.

ومن خلال صورة الليل القاتمة غالبا نجد الفجر بازغا في شعر الشابي حاملا رموزا ودلالات عديدة فالفجر مشرق وجميل فيه أمل وحرية وهو خالد لا ينتهي، فنجده يقول:

وتغزلت بالربيع وبالفجر فماذا ستفعل الريح بعدي (1)

ويقول أيضا:

غني أنشودة الفجر الضحوك أيها الصبح

فروحا بفجر الخلود البهيج وما حوله من بنات النجوم(2)

- فالفجر هنا رمز للفرح والبهجة ورمز للخلود.

يقول الشابي:

وله فجر على طول المدى ساطع الأنوار (3)

فنلاحظ من خلال هذا البيت أن الفجر ساطع في نوره ولا ينتهي بل هو فجر على طول المدى أي أنه مستمر مع الزمان.

- الفجر رمز للحياة يقول:

وانقضى الفجر فانحدرت في الأفق ترابا إلى صميم الوادي (4)

ومن خلال هذا البيت يتضح لنا أن الفجر في نفس الشابي هو الحياة فإذا انقض الفجر انقضت الحياة وضاعت وانحدرت ترابا إلى صميم الوادي.

- الفجر رمز للحرية:

وتطبق أجفانك النيرات عن الفجر والفجر عذب ضياء (5)

---

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، ص 275.

(2) المرجع نفسه:ص67.

(3) المرجع نفسه:ص 70.

(4) المرجع نفسه:ص 165.

(5) المرجع نفسه:ص 128.

وفي الأخير إذا كان الليل عند الشابي هو الظلم، والحزن والألم والغربة والرهبة والضعف والأشباح والأطياف فإن الفجر هو ربيع الحياة وواهب الأمل والفرحة والابتسامة فالشاعر يحلم بعودته ويتأمل السماء ليرى مبسم الفجر المنتصر دائما على الليل ومن خلال هذا نستطيع أن نوضح بالمخطط الآتي:

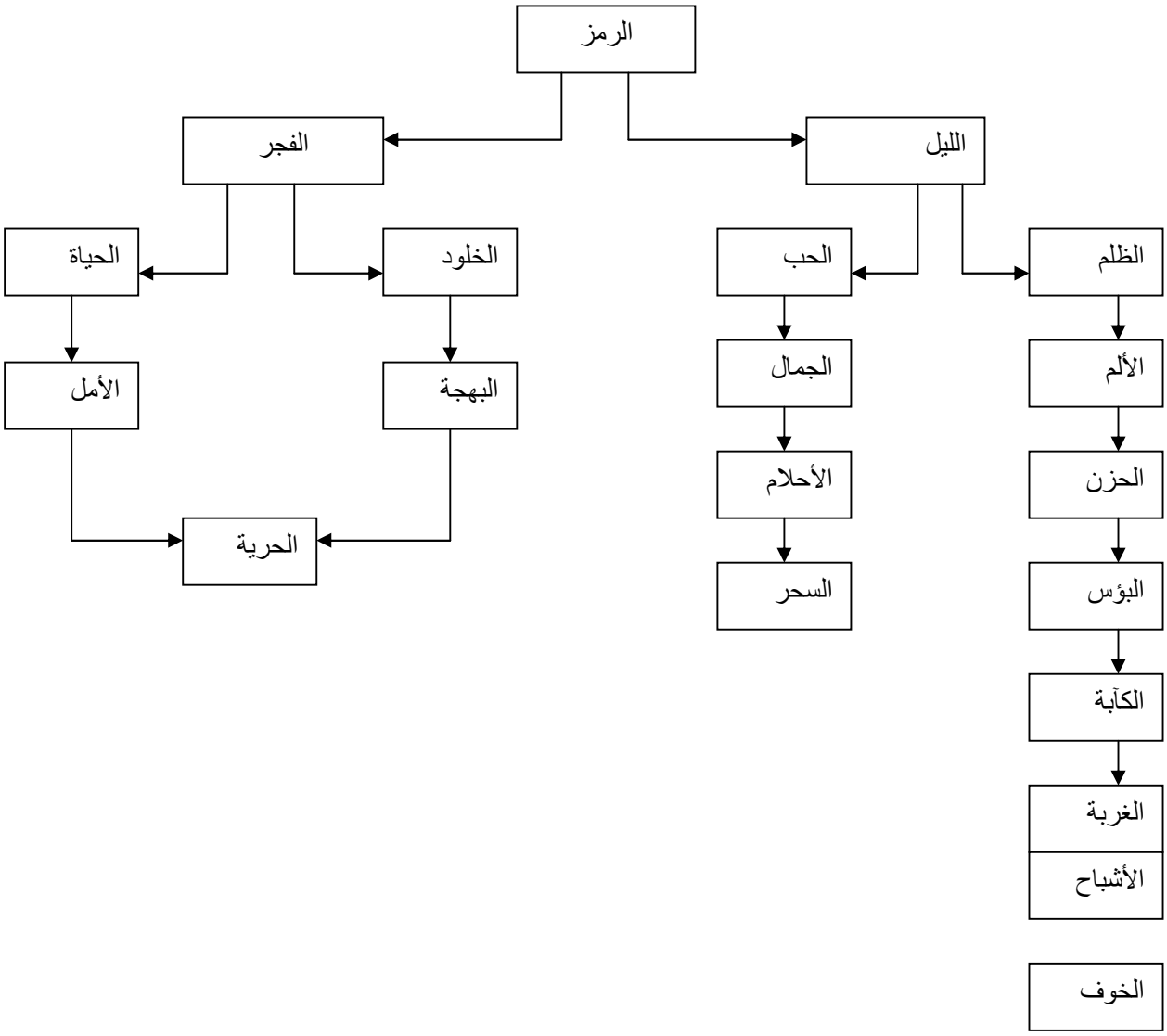

ونلاحظ أيضا أن الرمز في شعر الشابي على موضع آخر في لفظتي الربيع والخريف.

- فنجد الربيع يرمز به إلى الجمال والخصب والنماء والحياة والفن.

فيقول:

والربيع فنان شاعرها المفتون يغري بحبها وهواها [1]

فالربيع هنا هو فنان يرسم بصورته جمال الطبيعة الفاتنة الساحرة الذي يعيد الأرض الجرداء إلى الحياة، فها هو يقول:

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح [2]

فهنا صورة للمستعمر أي أن ما يقدمه ليس ربيعا وإنما هو خداع والذي يقصده بقوله: "هو الفضاء وضوء الصباح" دلالة على العاصفة التي ستأتي ما بعدما يقدم المستعمر إغراءاته.

– كما نجده يرمز بالربيع إلى الحياة يقابله بضده الخريف الذي يرمز إلى الأسى والجفاء والجمود مثل: الشتاء، يقول:

وسوف يمضي شتاء الأسى ويأتي ربيعك [3]

ويقول أيضا:

فسرت إلى حيث تأوي أغاني الربيع وتذوي أماني الخريف [4]

فالخريف رمز الذبول والزوال والشحوب وهذا من خلال قوله:

فيك يبدو خريف نفيس ملولا شاحب اللون عاري الأملود [5]

ومن خلال هذا يمكننا أن نوضح بالمخطط الآتي:

(1) محمد أمين الشابي :الأعمال الكاملة ص248.

(2) محمد أمين الشابي :الأعمال الكاملة ص260.

(3) المرجع نفسه:ص 102.

(4) المرجع نفسه:ص 102.

(5) المرجع نفسه:ص 125.

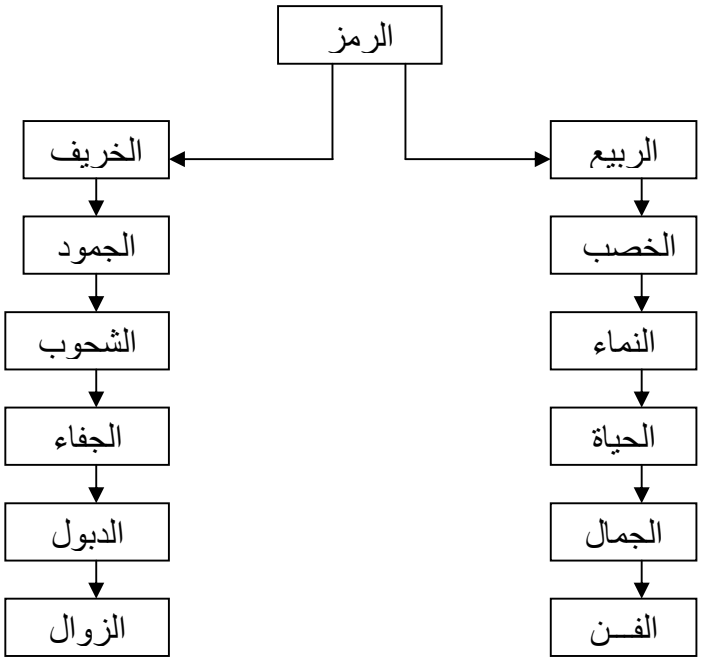

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الرمز الواحد له دلالات وصور متعددة.

ومثلا قوله:

سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق القمة الشماء (1)

فالنسر هنا رمز للقوة والصلابة والتحدي والشجاعة.

إذن نلاحظ أن الشاعر له رمزية خاصة تبين لنا فنونه وصوره الشعرية المتنوعة داخل القصيدة لبناء الشكل الجمالي في قصائده.

ثانيا: الطبيعة:

إن شعر الطبيعة قديم قدم الشعر نفسه، إذ كانت ولازالت بمناظرها المتنوعة تلهم الشعراء أعذب الأشعار وأرّقها والشاعر حين يصف مظاهر الطبيعة إما يصفها لمجرد المتعة وإما لنقل أحاسيسه النفسية وانفعالاته الداخلية.

وقد كان: "شعراء العرب قديما يقفون إزاء الطبيعة موقف المكتفي وحسب بوصف مشاهداته المادية أو بذكر ما يعني له من صور وتشبيهات سطحية سريعة، دون ترك مجال

(1) محمد أمين الشابي :الأعمال الكاملة ص 252.

للخيال فضلا عن ذلك فإنهم لم يغردوا في وصف الطبيعة قصائد خاصة، بل تناثرت بعض الأبيات التي لا تحس فيها نشوة الشعر وتلهب العاطفة"[1].

وفي الحقيقة أن الاندماج في الطبيعة لم يظهر أو بالأحرى لم يبلغ أوجه إلا بمجيء الرومانسية فقد كان الرومانسيون الغربيون مولعين بترك المدن والتوجه نحو الأرياف حيث الطبيعة الخلابة، وكانت تروقهم الوحدة بين أحضانها والخلو إلى ذات أنفسهم، ورائد الرومانسيين في هذا الشعور هو "جون جاك روسو" عاشق الطبيعة الأول والذي يقول:

"كنت أضرب على غير هدى، في الغابات والجبال لا أجرؤ على التفكير في شيء خوف أن تتقد جذوة آلامي [...] " [2]، فالنشوة بين أحضان الطبيعة هي طابع الرومانسيين جميعا.

إن الحديث عن الطبيعة عند هذا الشاعر يجب أن نميز بين إحساسين: بين من يصف الطبيعة لأنه يراها وسيلة من وسائل اللذة والتنعم وبين من يصف الطبيعة لأنه يعبدها وينظر إليها نظرة عاطفية رفيعة تنبثق من مشاركة لظواهر الاندماج في محاسنها الأول قد يقف عند المشاهد الطبيعية، فيستفيضها ويتتبع دقائقها وتخرج من قراءته بلوحات فنية رائعة ولكن هذه اللوحات على روعتها وجمالها، تفتقر إلى إحساس الخاشع المتصوف الذي نجده عند الشاعر الذي يصف الطبيعة وصف العابد لروعة معبوده وفي هذا الإحساس الأخير يقف الشابي قمة شامخة بين الشعراء المعاصرين الذين ظفرت الطبيعة في شعرهم بنصيب كبير.

إن الطبيعة التي يصورها الشابي ليست متعددة المشاهد ولا متنوعة المناظر وشعره خال من اللوحات الطبيعية الكاملة فلا ترى وصف خاصا بنهر أو روض أو غير ذلك من المجالي الطبيعية الرائعة، ولكننا حين نقرأ شعره نحس أن الشاعر يعبد الطبيعة عبادة عميقة تصل به إلى درجة الفناء في جمالها الأخاذ، وندرك أن شعوره بها لم يكن شعورا بسيطا

(1) أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر، 1975، ص 46.

(2) محمد غنيمي هلال: الرومانتيكية دار العودة، بيروت 1986، ص 169.

ولكنه كان شعورا عميقا لأنه لم يتدفقها في سذاجة المتلذذ المتنعم الذي لا يشغله منها إلا ما تهيأت له من راحة وظل وفير.

"طبيعة الشابي تسكن إشعاراته وتشابيهه ولا تقوم وحدها قصائد مستقلة، معبرة عن روعة هذه المناظر التي تشير إليها إشارة عابرة أو مصورة لما فيها من سحر وجلال، على أن ذلك لا ينفي أن الشاعر كان عميق الإحساس بها. حتى ليبعث في حديثه عن الطبيعة دفئا وحنانا لا نعهدها في غيره من الشعراء المعاصرين"[1].

تمثل الطبيعة منبعا هاما لأفكار أبا القاسم الشابي وذلك باعتبارها المحرك الأساسي الذي دفع الشابي لقول الشعر فلجأ إلى وصفها وتغورها في أعماقها وتجلى وصفه لها في مشاركته الوجدان والعاطفة الجياشة العميقة، فكان يجد في مظاهر الطبيعة صورا من نفسه فيقارن بين هذه المظاهر وعاطفته ومختلف أحواله، فشخص بذلك لطبيعة حتى صارت أليفته ورفيقته يخاطبها وتخاطبه ويرمز لصورها بحالات نفسه فهو والطبيعة ومظاهرها شيء واحد.

ومما يتصل بحب الطبيعة أيضا وضوح رغبة الشابي في محاولته الهروب من واقع الحياة الأليم والفرار من دنيا الحقائق المجردة والغاية هي الجنة التي تصور له أحلامه ملاذا لسعادته وراحة من متاعب الحياة وشرورها فنجده يلجأ إلى الغاب يقول:

إنني ذاهب إلى الغاب، يا شعبي لأقضي الحياة وحدي بيأس
إنني ذاهب إلى الغاب عليّ في صميم الغابات أدفن بؤسي
سوف أتلو على الطيور أناشيدي وأقضي لها بأشواق نفسي
فهي تدري معنى الحياة، وتدري أن مجد النفوس يقظة حسّي
ثم أقضي هناك في ظلمة الليل وألقي إلى الوجود بيأسي
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلو تخط السيول حفرة رمسي
وتظل الطيور تلغو على قبري ويشدو النسيم فوقي بهمسي [2]

(1) فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومنطقية في الأدب العربي الحديث، التونسية للطباعة وفنون الرسم، جوان 1988، ص75.

(2) سحر الخليل: الأدب العربي الحديث، طبعة الأولى، سنة 2010م، 1431هـ، دار البداية، عمان، ص99.

ففي بداية هذه الأبيات نلمس وصف الطبيعة في شعر الشابي متصل بحبه لوطنه والواقع أن الطبيعة عنده لا تنهل بمشاهد تونس، وإنما هي مشاركة بين جمال الطبيعة بوجه عام، كما أن الشابي شاعر أسرارها، حينما أفصح عن أنغام الطبيعة المسموعة ولكن للطبيعة أنغاما هامة لم يصل الشابي إليها، فكان كل شيء موجود في الطبيعة إلا وذكره الشاعر في شعره.

فجمال الطبيعة وألوانها وأشكالها ألهموا الشاعر شعرا جميلا عذبا غني بكل مطالب الأدب العربي من تشبيهات ومحسنات واستعارات وغيرها من الصور يقول:

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي

أصرف العمر في الجبال وفي الغابات بين الصنوبر والمياه

أرتب الموت والحياة وأصغي لحديث الآزال والأباد

وأغني مع البلابل في الغاب وأصغي إلى خرير الواد (1)

فالمتأمل لهذه الأبيات يرى أن الشابي جد متعلق بالطبيعة فهو يرى فيها الحياة النقية الكاملة البعيدة عن الظلم والعبودية وهكذا فإن ألفاظ هذه الأبيات منبعا الطبيعة فهي أم تحنو على الشابي لتخفف عنه حدة المأساة التي يعانيها كما يقول في قصيدته "مناجاة عصفور"

أيها الشادي المغرد ها هنا ثملا بغيطة قلبه المسرور

قبل أزاهير الربيع وغدوها رغم الصباح الضاحك المعبود

وأشرب من النبع الجميل الملتوي ما بين روح صنوبر وغريد (2)

من خلال هذه الأبيات نجد أن الشاعر أعطى الطبيعة صفة الحركة وأضفى عليها الحياة ولهذا فالصور تقبل أزاهير الربيع، وبقاء دموع الفجر في أوراق الشجر صورة تحمل دلالات وجدانية ونفسية كامنة في نفس الشاعر ولهذا فإن "استلهام الطبيعة هي ثمرة امتزاج

(1) أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، قدم وشرحه الأستاذ أحمد بسج دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، ص67.
(2) المرجع نفسه، ص107.

المقوم اللغوي بالمقوم النفسي، فتتمثل في تناسج كل من البنية والحركة داخل صياغتها، وهي ظاهرة قلما تتظافر في الفصل الشعري"[1].

كما يحاول الشابي أن يربط بين الطبيعة وما يختلج في داخله ولإيمانه العميق بهذه الفكرة جاءت الطبيعة عنده بمختلف مظاهرها وعناصرها ممتزجة بوجدانه الفردي، بمعنى أن الطبيعة في شعره هي صورة صادقة لمشاعره وأفكاره فهي كئيبة لكآبته، وهي مشرقة بهيجة إذا كان سعيدا وقصيدة "أغاني الرعاة" خير دليل على ذلك

يقول:

أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة

والربى تحلم في ظل الغصون المائسة

والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

وتهادى النور في تلك الفحاح الدامسة.

أقبل الصبح جميلا يملأ الأفق بهاه

فتمطى الزهر والطير وأمواج الحياة

قد أفاق العالم الحي وغنى للحياة

فأفيقي يا خرافي وهلمي يا شياه

واتبعيني يا شياهي، بين أسراب الطيور

وأملئ الوادي ثغاء ومراحا وحبور

واسمعي همس السواقي، وانشقي عطر الزهور

وانظري الوادي، يغشيه الضباب المستنير[2]

وهنا يتحدث الشابي عن الراعي الذي يتكلم ويخاطب القطيع وكيف تتموج في جوانحه مشاعر الفرح بمجيء الصباح وطلوع الشمس وكيف أن ما في الطبيعة من غصون وأوراق

(1) عبد السلام المسدي: قراءات مع الشابي، الدار التونسية للنشر، تونس، ص21.

(2) محمد أمين الشابي :الأعمال الكاملة ص217.

وزهور وأنوار وفجاج وألوان ولهذا يكون الفرح ولا يبقى شيء من طير ومياه وحيوان إلا وبتهج وغنى للحياة.

فالأبيات تمثل الروح الرومانسية حق تمثيل، فذكر الشاعر لهمس السواقي وللعطور التي تفوح من الزهور، وللوادي الذي يغشيه الضباب.

ومن خلال ما سبق نصل إلى أنّ الشابي اعتمد على الطبيعة كأساس لتكوين شعره باعتبارها رفيق عمره الدائم فهو لا يستغني عنها مهما كانت حالاته النفسية والاجتماعية.

ثالثاً: المجتمع:

إن الوضع الذي آلت إليه البلاد التونسية حين كان شعبها يرزح تحت وطأة الاحتلال الفرنسي الذي أذلّه وحول حياته إلى جحيم لا يطاق، فكان "الشعب التونسي في مجموعه كالنائم، لم يستيقظ منه إلا الأقلون عددا، ثاروا لأمتهم وثار معهم الشابي ثورة تغلغل في أعماقه، أحس إحساسا دقيقا بعلّة أمته، فهبّ الشابي في وجه المستعمر"[1].

إذن الشابي أحس بألم ومعاناة شعبه فانزعج كثيرا وراح يقول الشعر وجعله وسيلة لمواجهة الطغيان، فكان المجتمع منبع من منابع إلهامه الشعري. إذ نجده يقول: في قصيدة "إلى طغاة العالم"

ألا أيها الظالم المستبد حبيب الفَنَاءِ عدو الحياةْ

سخِرت بأنّات شعبٍ ضعيفٍ وكَفُك مخضوبةٌ من دماهْ

إلى أن يقول:

رويدك لا يخدعنك الربيع وصحو الفضاء وضوء الصباح

ففي الأفق الرحب هول الظلام وقصف الرعود وعصف الرياح

ولا تهزأن بنوح الضعيف فمن يبذر الشوك يجني الجراح [2]

(1) شوقي ضيف، دراسات في الشعر العربي المعاصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ط6، 1959، ص150.

(2) أبو القاسم الشابي، ديوان أغاني الحياة، قدم وشرحه الأستاذ أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، ص16.

فالشابي في هذه الأبيات يسجل على عدو شعبه ظلمه واستبداده ويحذره من انخداعه بما يرى من صحو الفضاء وضوء الصباح لأنه في يوم ما سيستفيق هذا الشعب الضعيف ويقف في وجه الظالم الغاشم ويقذف به كما تعصف الرياح وتقصف الرعود ليجد الاستعمار نفسه أمام سيْل يجرفه مثل أمواج الدماء، فإن من يبذر الشوك حتما سيجني الجراح.

كما نجده في قصيدة "زئير العاصفة" ينطق بلسان شعبه وأمته، وأنها لابد يوما أن تثأر لكرامتها وحريتها المسلوبة، فها هو يقول:

ألا أيها الظلم المعصر خده رويدك إن الدهر يبني ويهدم

أغرك أن الشعب مغمض على قدى لك الويل من يوم به الشر قشعم

سيثأر للعز المحطم تـاجه رجال إذا جاش الردى فهم هَمُ (1)

إن الشابي قد كان أصدق الناس عاطفة وأخلصهم شعورا بالمسؤولية تجاه وطنه وشعبه عندما رأى أن الجهل والأمية قد سيطرت على بيئته، فراح يعمل على إيقاظ الضمائر الخاملة حيث يدعو شعبه إلى النهوض والدفاع عن نفسه من أجل استرجاع حريته، وإن أروع ما يصور ذلك هو قصيدة "إرادة الحياة" التي كان لها ضجة كبيرة في الأوساط الدينية من جهة وفي الأوساط الأدبية من جهة أخرى، كما كان لها أثر فعال في أوساط الجماهير وقد افتتح الشاعر القصيدة بقوله:

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر (2)

وهنا نهض الشابي يحث شعبه على تحطيم قيود المحتل ويبين أن الحياة تتمثل في إرادة الشعب وما يريده، لأن المحتل ليس قدرا على الوطن والثورة عليه واجب لتحرر تونس من قيود المحتل الظالم الغاشم، فقد استطاع الشابي أن ينقل أفكاره وأحاسيسه لجمهور تونس بأسلوب رومانسي ينبعث من تجربته التي طبعت بطابعه الخاص ومعاناته الذاتية لواقع الظلم والطغيان.

(1) أبو القاسم الشابي، الديوان، ص135.

(2) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة أبو القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، الجزء الأول، ص236.

وكما لجأ الشاعر إلى التشخيص الذي يحي ما لا حياة فيه، فجعل القدر كالإنسان يستجيب لمن يستدعيه.

إذ نجده يقول:

ولابدّ لليل أن ينجلي ولابدّ للقيد أن ينكسر

ومن لم يعانقه شوق الحياة تبخّر في جوّها واندثر (1)

إذن فهو يريد أن يقول إذا كان ظلام الليل يغشي هذه الإرادة في زمن ما، فلابد أن يبزغ الفجر ويزيل هذه الظلمة لتنكسر قوة المحتل أمام إرادة الشعب، فالشابي يريد أن يقول بأن مصير الشعب سيكون بيده لا بيد محتله، وذلك بعزمه وصموده أمام الشدائد والمصائب لأن الحياة حتما ستخضع له إذا كافح وبذل العرق والدم وكشف الخنوع والذل عن نفسه لأن الذي لا يشخص على مسرح الحياة يموت ويندثر.

كما يقول:

فويل لمن تشقه الحياة من صفعة العدم المنتصر

كذلك قالت للكائنات وحدثني روحها المستتر

ودمدمت الريح بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر

إذا ما طمحت إلى غاية ركبت المنى ونسيت الحدر

ولم أتجنب وعور الشعاب ولا كبّة اللهب المستعر (2)

فهنا نلاحظ أن الشاعر ينتقد أولئك المتقاعسين عن الصعود ولم يستقضوا من صفعة العدم فهم سيبقون خاملين لا أثار لهم، وبهذا حدّثت الكائنات الشاعر.

كما ينتقل إلى الحديث عن الريح ودمدمتها بين الفجاج وفوق قمم الجبال وتحت الشجر لأنها قوية ويقول بأن من يطمح إلى غاية لابد له أن يكون مثل تلك الرياح وأن يغامر وأن لا يخاف من وعور الشعاب، وأن يجتاز المناطق الوعرة دون أن يهاب أذى اللهب المستعر

(1) المرجع نفسه: ص236.

(2) محمد أمين الشابي، الأعمال الكاملة، ص236.

فعلى من يطمح إلى الحرية ألا يخاف، ومن لا يغامر ليصعد قمم الجبال فإنه سيبقى على مرّ الزمن يعيش في المذلة ويشتاق إلى الكرامة.

– **الوطن:** إن أبا القاسم الشابي قد واجه المستعمر بكلمته وعمل على إيقاظ المجتمع التونسي من سباته، فالشاعر ملتزم بقضايا وطنه وهذا من خلال الجملة الشعرية المستمدة من وجدانه وإحساسه بضرورة مساعدة شعبه، فالوطن له دور فعال في بناء الشعر لديه لذلك يقول:

أين يا شعب قلبك الخافق الحساس أين الطموح والأحلام ؟
يا شعب روحك الفتان أين الخيال والإلهام ؟
إلهي! ما تحس وما تشدو أما تشتكي ؟ أما تتكلم ؟
أنت لا شيء في الوجود فغادره إلى الموت فهو عنك غني (1)

وكما نجد الشاعر يتغنى ببلاده تونس فيقول في قصيدة "تونس الجميلة"

لست أبكي لعسف ليل طويل أو لربعٍ غدا، العفاء مراحهْ
إنما عبرتي لخطب ثقيل قد عرانا ولم نجد من أزاحهْ
كلما قام في البلاد خطيب موقظٌ شعبه يريد صلاحهْ
ألبسوا روحه قميص اضطهاد فاتك شائك يردُّ جماحهْ (2)

إذن الشاعر يتحدث عن المستعمر الذي طال بقاؤه على أرض تونس وهو لم يجد إلا الدمعة، فالمحتل أصبح ثقيلا على أرضه ولم يجد من يزيحه عنها فضعفه أمام المحتل واضح جدا، إذ كلما قام في البلاد خطيب يريد إيقاظ شعبه يسكتوه ويلبسوه قميص الاضطهاد. وأما من خلال هذه الأبيات التي فيها يقول:

وأقول للجمع الذين تجشّموا هدمي وودّوا لو يخّر بنائي
ورأوا على الأشواك ظلي هامدا فتخيّلوا أنّي قضيت دمائي

(1) أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، قدم وشرحه الأستاذ أحمد يسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط04، ص70.
(2) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ج1، ص24.

وغدوا يشبون اللهيب بكل ما وجدوا ... ليشدوا فوقه أشلائي
ومضوا يمدون الخوان ليأكلوا لحمي، ويرشفوا عليه دمائي
إني أقول لهم، وجهي مشرقٌ وعلى شفاهي بسمة استهزاء
إن المعاول لا تهد مناكبي والنار لا تأتي على أغصاني
فارموا إلى النار الحشائش ... والعبوا يا معشر الأطفال تحت سمائي

أي: أن الشاعر يخاطب أعداء الأمة وبين لهم فضائحهم للشعب المقهور من احتلالهم بأن هذا الظلم لن يستمر طويلا ونهب الخيرات لن يدوم، فكل هذه الأفعال لن تفتر عزيمته ولن توقف حماسه.

إلى أن يقول:

وإذا تمّردت العواصف، وانتشى بالهول قلب القبة الزرقاء
رأيتموني طائرا مترنما فوق الزوابع في الفضاء النائي
فارموا في ظلي الحجارة واختفوا خوف الرياح الهُوج، والأنواء..... (1)

فالشاعر يقول بأنه ستأتي العاصفة لتأخذ في وجهها كل ما يعترضها وسيختفي المحتل ومن يسير في دربهم، ويعود الأمان إلى الوطن فسيكون الجواب من الشعب قاسيا وواضحا.

إذن فما نلاحظه في أبيات القصائد: "إلى طغاة العالم" و"زئير العاصفة" و"إرادة الحياة" و"تونس الجميلة" و"نشيد الجبار" أنها كلها تدل على شاعرية الشاعر وإحساسه الفذ بشعبه ووطنه، إذ يدافع عنه بالكلمة الشعرية التي يحث فيها شعبه على الصبر والتحدي للنهوض في وجه المحتل وتحطيم قيوده التي جعلت من الشعب التونسي شعب ضعيفا لا إرادة له في مواجهة المصائب والظلم والطغيان.

إنّ أبا القاسم الشابي أراد الدفاع عن البلاد التونسية بالقلم بدل السلاح لأنه يتمتع بالنخوة العربية التي يفتقدها ذاك المحتل الغاشم، كما أنه يريد تحريك الضمير الظالم الذي يريد القضاء على ما هو جميل.

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة ص254.

رابعاً: الأسرة:

لقد كان للأسرة دور كبير في بناء المجتمعات ولهذا تعد الأسرة منبع من منابع إلهام أبو القاسم الشابي فهو قد خص المرأة في شعره التي مثلت عنده مسرحا لخياله، طريقا لعواطفه عروسا لشعره باعتباره شاعرا رومانسيا بأصدق المعاني وأعمقها، ولهذا فإننا نلمس أنه يعبر عن المرأة من جانب إنساني، يحمل معنى القداسة، ويربط بينها وبين أجمل ما في الطبيعة ويغني لمعنى الحب ليجد في ذلك عالما سحريا رقيقا يزوده بصور من الحياة ما يفوق الجمال الحسي.

ويؤكد من عاصر الشابي ومن كان قريبا منه أن الشابي عرف الحب وهو يافع فكانت فتاته الأولى التي تربى معها في بلدته ثم اختطفتها المنية وهي في ريعان شبابها فحزن عليها حزنا عميقا فكان رحيلها سبب من أسباب كتابته الشعر لهذا نجده يقول في قصيدة "أيّها الحب":

أيّها الحب! أنت سرّ بلائي وهمومي وروعتي وعنائي
ونحولي، وأدمعي وعذابي وسقامي، ولوعتي وشقائي
أيّها الحب! أنت سرّ وجودي وحياتي، وعزّتي وإبائي
وشعاعي ما بين ديجور دهري وأليفي، وقرتي، ورجائي
يا سلاف الفؤاد! يا سُمّ نفسي في حياتي! يا شدتي! يا رخائي!
ألهيب يثور في روضة النفس فيطغى أم أنت نور السماء ؟ (1)

إذن فالشابي يقول بأن الحب سر البلاء والهموم التي يعاني منها كما يراه بأن هو سر الوجود والحياة إلى أن يقول:

أيها الحب قد جرعتُ بالحز ن كؤوس، وما اقتنصت ابتغائي (2)

(1) محمد أمين الشابي: أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، ج1، ص19.
(2) المرجع نفسه، ص20.

ففي هذا البيت يشير الشاعر إلى أن الحب أذاقه كؤوس الحزن والألم فيترجاه بأن يهون عنه الشقاء والبلاء كما كان الشابي يقول في الحبيبة:

ليتني كنت زهرة تتثنى بين طيات شَعْرك المصقول (1)

أي: أنه يتمنى مقابلة الحبيبة وهي أحلام وأماني لا تلامس أيدي ولا شفاه، فقوله هذا تغلب عليه العاطفة والخيال المجنح.

يقول في إحدى قصائده متغنيا بالحبيبة:

أراك فأخلق خلقا جديدا كأني لم أبل حرب الوجود(2)

فمن خلال هذا البيت نجد أن للحب قدرة على الإحياء والبعث ذلك أن أبا القاسم يربط الحياة بالحبيبة فهو عند رؤيته لها يبدوا كأنه خلق من جديد.

وفي موضع آخر يقول:

أراك فتخفق أعصاب قلبي ويهتز مثل اهتزاز الوتر

فتخطو أناشيد قلبي سكرى تغرد تحت ظلال القمر (3)

فهذين البيتين يوحيان إلى فكرة أخرى مفادها أن الحبيبة كانت لها دور فعال في بناء قصائد الشابي بنغم جميل واهتزاز أوتارها بشكل منتظم، فالحبيبة لديه هي التي تخفق أعصاب قلبه وتخطو أناشيده وكل هذا يدفعه إلى إبداع جديد في الأفكار والمعاني والمواضيع وهكذا اختلفت نقاط إلهامه.

فرغم موت هذه البرعمة إلا أن حبر قلمه لم ينتهي، بل تواصل في الكتابة حتى بعد موتها، فكتب قصائد عديدة في هذا المجال منها قصيدة "الغزال الفاتن" وهذه أول قصيدة نظمها بعد موت حبيبته بتاريخ 1923/02/23 يقول:

بذر الحبُّ بذْره في فؤادي فأورقا

بلحاظٍ نوافثٍ فجنى حظي الشقا

(1) محمد أمين الشابي: أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ص 288.

(2) المرجع نفسه، ص184.

(3) المرجع نفسه، ص185.

وسعى فيه مهره عاديا ثم أعنقا

ربّ ظبي علقته بالبها قد تطرطقا

ثم من وصله الجميل غدا القلب مملقا (1)

الشابي في هذه القصيدة يبدو متحصراً على فراق الحبيبة فهو شبهها بالبذرة التي تزرع وتنمو وفجأة تتوقف عن النمو وتصبح كئيبة حزينة إلى أن تموت فحياة هذه البذرة هي نفسها حبيبته التي خطفتها يد المنون في ريعان شبابها إذ تعد مثل البرعم الذي يورق ثم مع الوقت يتوقف عن الحياة دون الوصول إلى إنتاج الثمار، فالشابي تمنى إن اكتملت حياته مع هذه الفتاة إلى آخر العمر راجيا أن تكون كالبذرة المكتملة ويقول في هذه الأبيات وهي أجمل ما كتب على فراق الحبيبة:

كم قلوب تفطرت ودم صار مهرقا

ودموع تسلسلت مثل غيم تدفقا

دون أن تبلغ النفوس رضابا مروقا

وشقيق بخده مهج الخلق شققا (2)

إذن فرغم حزن الشابي على حبيبته لم يمنعه هذا من الزواج بامرأة أخرى فقد زوجه أبوه بهذه المرأة التي أنجب منها طفلين، هما محمد الصادق وجلال فعاش حياته في سعادة مع زوجته وأولاده.

وهذه كانت نقطة أخرى لانطلاقاته الشعرية وإبداعه الفني، فكما تغزل بحبيبته ودوّن قصائد عنها أيضا كتب عن الزوجة التي ساندته في أوقات عصيبة ولم تتركه يعاني الشقاء لوحده إلى غاية وفاته يقول:

أراك فتحلو لدي الحياة ويملأ نفسي صباح الأمل

وتنمو بصدري ورود عذاب وتحنو على قلبي المشتعل

(1) محمد أمين الشابي: أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ص153.

(2) المرجع نفسه، ص153.

ويفتنني فيك فيض الحياة وذاك الشباب الوديع الثمل

ويفتنني سحر تلك الشفاه ترفرف من حولهن القبل (1)

رغم الليالي التي كان يقضيها الشابي مع زوجته إلا أنه كان يتذكر حبيبته، لهذا نجده يتغنى بحبيبته أكثر من زوجته، لكن هذه الأخيرة هي التي حثته على الصبر خاصة عندما انتقلت روح الوالد إلى السماء وكان ذلك سنة 1929 وهذا ما زاد من محنة الشاعر وضاعف من عذابه، مما جعل الشاعر يتخيل روح والده حائمة حوله كل ليلة وفي إحدى الليالي حضر طيف والده فسطر يقول: "ليس لذي ما أكتبه اليوم عن نهاري هذا، ولعلي خير لي أن أذهب إلى فراشي وأنام لأنسى ما في عالم الأحلام وسأرى أبي، آه! نعم ذلك الأب الذي قد شق له الناس قبره وسووا التراب عليه وبقيت بعده في الحياة آلام وألذ وأسر وأحزان! أجل سأراه كما قد رأيته في ليالي الخالية حينما ينطفأ السراج ويشمل الغرفة ظلام الدجى ...". (2)

لذلك نجده يقول:

يا موت! قد مزّقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري

ورميتني من حالق وسخرت مني أي سخر

فلبثت مردود الفؤاد أجر أجنحتي بذُعر ...

وقسوت إذا أبقيتني في الكون أذْرَعُ كلّ وعْر

وفجعتني فيمن أحبّ ومن إليه أبُثّ سرّي

وأعِدّه، فجري الجميل إذا أدلهم عليّ دهري

وأعدّهُ، غابي ومحرابي وأغنيتي، وفجري .... (3)

إن الشاعر في هذه الأبيات يرثي أباه ويخاطب الموت التي خطفت والده منه فالقصيدة يغلب عليها ندب ونوح وصرخة فهذا كله دلالة على الألم الذي يعد نقطة هامة في الرثاء فالحزن يزداد لدى الشاعر من بداية القصيدة باندفاع كبير حتى نهايتها، فهذه الأبيات أثقلت

(1) محمد أمين الشابي: أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ص184.

(2) يوسف عطا الطريفي: أبو القاسم الشابي، حياته وشعره الأهلية للنشر، والتوزيع، بيروت، ط1، 2009، ص120.

(3) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، ص139.

على صوره ولهذا أمسى مطرقا لثقل هذه الأفكار ومثلت نفسه الدنيا، وهي صرخة من صرخات نفسه المملوءة بالأحزان والذكريات، وشظية من شظايا قلبه المحطم في الحياة.

والشاعر مثل غيره من البشر، فلربما تزاحمت الهموم من حوله إلا أنه يعيش في عالم زاخر بالألحان والأضواء والمرح والسرور وها هو يقول:

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي ومشاعري عمياء بالأحزان
أين سأظمأ للحياة وأحتسي من كأسها التوهج والنشوان
وأعود للدنيا بقلبي خافق للحب والأفراح والأحزان
ولكل ما في الكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشجان
فإذا أنا طفل الحياة المنتسي شوقا إلى الأضواء والألوان
إن ابن آدم في قرارة نفسه عبد الحياة الصادق الإيمان (1)

الشابي هنا لم يتخيل أن بعد موت والده وقلبه مليء بالآلام والأحزان سيظمأ للحياة ويشتاق إلى التوهج ويعود للدنيا بقلبه الخافق والأفراح والألحان ففي الأخير يتوصل إلى أن ابن آدم قلبه مليء بالصدق والإيمان ويقول في موضع آخر:

كلُّ قلبٍ حمل الخسف، وما ملّ من ذلّ الحياة الأرذلِ
كلّ شعب قد طغت فيه الدما دون أن يثْأر للحقّ الجلي
خلّه للموت يطويه ... فما حظّه غير الفناءِ الأنكل (2)

في هذه الأبيات يصف الشاعر الموت عامة فهنا اقتنع بالموت ففي رأيه أنّ كل إنسان سيطويه الموت وسيكون حظه في النهاية غير الفناء ولا أحد سيخلد لأن الخلود لله وحده.

إن الموت ترك في نفس الشاعر صورة تتبعه في كل مكان وزمان وهذا ما نلمسه من خلال قصيدة "في ظل وادي الموت":

(1) محمد أمين الشابي : الأعمال الكاملة: ص257.
(2) المرجع نفسه، ص 21.

نحن نمشي، وحولنا هاته الأكوان

نمشي ...، لكن لأية غاية ؟

نحن نشدو مع العصافير للشمس

وهذا الربيع ينفخ نايه

نحن نتلو رواية الكون للموت

ولكن ماذا ختام الرواية (1)

نتوصل من خلالها إلى أن الشابي ينظر إلى رواية الكون وكل ما فيه من كائنات ختامها يكون موتا يقول:

وغداً إن قضيت غاضت شجوني وطواني لدى القبور السبات

فنسيت الشقاء والدمع واليأ س ونامت بمهجتي الحركات

وقضى في سكينتي طائر الحز ن وأغفت بصدره الندبات

هكذا يلْجم المنون فؤادي وتهُب الحقائق الخالدات (2)

خلاصة القول: إنّ الشابي قد أبدع وتفنن في شعره وكان كل هذا مصدره: الحبيبة والزوجة والأب بالإضافة إلى ما سبق من مصادر، فعندما يتحدث الشابي عن المرأة زوجة أو حبيبة نجده يربط الحب تارة بالطبيعة وبالكون تارة أخرى، فهي الملاك الذي يهبط من عالم الخيال السحري ليشفي الجراح ويحمل رحيق الوجود المقدس، وقد كانت النظرة الرفيعة للمرأة والحب خير مساندة لدعوة تحرير المرأة في تونس وقد تركت هذه الدعوة الفكرية أثرها في المجتمع التونسي كما كانت نظرة الرومانسيين للحب توضح العلاقة بين الرجل والمرأة وهكذا رسم الشابي لوحة للمرأة لتظل في ضميره خيالا بريئا ملاكا تعيد للطبيعة أضوائها وعطرها في نفس الشاعر وفي عالمه، متولدة من عذريته وصوفيته التي أشرقت في نظراته للمرأة والحب.

(1) محمد أمين الشابي : الأعمال الكاملة: ص203.

(2) المرجع نفسه، ص205.

وأما نظرته للموت فقد كانت رسالة طويلة تعبر عن آلامه وأوجاعه، وأعاصيره وخمول شعبه وضيقه بالحياة فهي سبب تغير شخصية الشابي من شخصية قوية إلى شخصية حائرة بعيدة عن الفرح والسعادة فكانت الموت هي النهاية المحتومة لديه.

خامساً: الذات:

طافت بأذهاننا أمنية تصدر عن كل إنسان، هذه الأمنية تكون في السنوات الأولى من حياتنا ألا وهي مرحلة الطفولة. وقد ارتئ لنا أن نتحدث عنها عند شاعر محروم لم يعش هذه الأمنية مثل بقية الشعراء، وهو أبو القاسم الشابي شاعرنا الخالد العظيم، يتغنى بالطفولة في شعره.

إذ لم يبلغ أي شعرائنا المعاصرين ما بلغه الشابي في التغني بعهودها الجميلة وتصوير أيامها الرائعة الرقيقة تصويرا يضفي عليها شيئا جميلا من الرقة والحنان والعذوبة والجمال وما أعذب أيام الطفولة وما أبهج ذكرياتها الجميلة بالطبع، إنها فردوسنا المفقود الذي نشعر فيه بأننا كل شيء في الحياة. فليس لنا إلا الأمر وما على الآخرين إلا الطاعة وليس لنا نظر في هذه الدنيا وآلامها وأحلامها، ولكننا نقضي أيامها في اللهو والمرح وحسنا في هذه الحقبة من حياتنا وحياة كل إنسان الحصول على حنان الأمومة ورعاية الأبوة، والشابي هنا يصورها تصويرا رائعا يبلغ به قمة الإبداع، ولهذا نجد لديه العديد من القصائد يصور لنا فيها أيام طفولته فيقول:

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير

وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير

ووداعة العصفور بين جداول الماء المنير (1)

فالشابي يتذكر أيام طفولته ويكشف عن السر الذي يجعلنا نعشق الطفولة ونتعلق بهذه الأيام الساحرة الجميلة فهي تعيد إلينا الحياة كيوم خلقها كما تصور البراءة والسذاجة والصراحة والحياة المتحررة الطليقة التي افتقدها في هذه الحياة.

(1) أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، قدم وشرحه الأستاذ أحمد بسج، دار الكتب العلمية، بيروت،ط4، ص144.

إضافة إلى حديثه في أبيات أخرى عن الطفولة التي شبهها بواحة المجهد العاني الذي طال عليه الضرب في الصحراء.

كما يشير إلى أنها ترفع عنا شيئا من أثقال الحياة وأهوال الوجود، وفي هذا الصدد يقول:

قد كنت في زمن الطفولة والسذاجة والطهور

أحيا كما تحيا البلابل والجداول والزهور

لا نحفل الدنيا تدور بأهلها أو لا تدور

واليوم أحيا مرهق الأعصاب مشبوب الشعور

متأجج الإحساس أحفل بالعظيم والحقير

تمشي على قلبي الحياة ويزحف الكون الكبير

هذا مصيري ... يا بني الدنيا ... فما أشقى المصير [1]

وليست الطفولة غريبة عن حياة العباقرة الأعلام، فهم يعيشون بروح الأطفال. وحتى ثورتهم على مجتمعاتهم مثل: ما عاش الشابي لا تفسّر بغير هذه الروح في بعض الأحيان.

إنّ الإنسان لا يشعر لذاته في هذه المرحلة من حياته أو ينعم بسعادتها وهذا تفسير لا ينطبق على الشابي لأن طفولته كانت عكس هذا لأنها كانت سعيدة مغمورة بعطف وحنان والديه ورعايتهما. لهذا كان يتشوق دائما إلى الطفولة.

وإضافة إلى هذا فإن للواقع الاجتماعي دور كبير في حنينه إليها فنجده حين يصل إلى قرارة بعيدة عن الانحطاط والخنوع والذل يتجه إلى مسالك متعددة وضروب مختلفة من الكفاح.

والشابي هذا الشاعر الخالد، الذي كانت حياته قصيرة إلا أنها تحمل سلسلة من التجارب الإنسانية، فالطفولة عنده في أبسط معانيها هي: تجديد وبعث للحياة، وهذا هو ما

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر، أكتوبر 1984، الجزء الأول، ص213.

دفع به إلى التعلق بها فما أكثر التغني بها في قصائده منها قصيدة بعنوان "قلب أم" الذي قدس فيها الأمومة وعبّر عن أسمى معاني هذه الكلمة، فالطفولة تسري في كلمات هذه القصيدة حين عبر عن الطفل ووصفه باللحن الجميل فقال:

يا أيها الطفل الذي كان كاللحن الجميل

والوردة البيضاء تعبق في غيابات الأصيل

ها أنت ذا أطبقت جفنيك أحلام المنون

وتطايرت زمر الملائك حول مضجعك الأمين

ومضت بروحك للسماء عرائس النور الحبيب (1)

إن الشابي هنا يناجي الطفل الميت، هذا الطفل اللحن والوردة الجميلة التي ذبلت في غير حينها، ولقد عادت الذاكرة بالشاعر في كثير من قصائده التي يهتف فيها بملء حنجرته التذكار الطفولة فها هو يقول:

لله ما أحلى الطفولة! إنها حلم الحياة

عهد كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات

إن الطفولة تهتز في قلب الربيع (2)

إذن الطفولة عند شاعرنا مثلت حلاوة الحياة وحلمها فهي عهد معسول الرؤى، فالطفولة مثل قلب الربيع، المتفتح بالأزهار والورود الجميلة التي تفوح بالعطر المعبق.

فخلاصة القول: فإن الطفولة عند أبي القاسم الشابي تمثل المرحلة الخالية من هموم العيش ومتاعبه، والمقتصرة على هموم الأطفال ومتاعبهم الصغيرة اللاهية العابثة، فهو قد كان في رعاية أب يحميه ويوفر له كل حاجات طفولته. كما أنه لم يعرف مصارعة، وترقب المرض كل ساعة.

(1) أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، قدم وشرحه الأستاذ أحمد سبج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، ص217.
(2) المرجع نفسه، ص403.

ومن هنا نصل إلى مقصد آخر وهو "المرض" الذي عانى منه الشابي طوال حياته حيث أثّر على نفسيته وشعره فكانت في شعره نظرة سوداوية تشاؤمية ناقمة على كل ما حوله فهذا المرض قد حرمه من ممارسة حياته بشكلها الطبيعي، ومنعه من التمتع بمسراتها وملذاتها في أبسط صورها، كما حرمه متعة اللعب والركض صغيرا، وضيق عليه الخناق كبيرا، في تحذير الأطباء له من الاشتغال بالشعر والكتابة وعدم إرهاق نفسه وجسمه المتعب، لما فيه من ضرر شديد الخطورة عليه، لكن لم يتحمل الصبر، بل راح يصور لنا العالم بعيونه كما يراه هو بعبقريته الشعرية وقلبه العليل وعبّر عن آلامه وأحزانه أحسن تعبير، فأبدع وألهم الجماهير بشعره، فالشعر تعبير يحتمل جمالية الإبداع.

حتى أصبح دائما يتخيل لحظات الموت مدركا أنه لا حب يبقى ولا سعادة ولا جمال واللحظات الحالية ما هي إلا ذروة يتبعها ذوبان التجربة، فالموت وحده كفيل يحفظ هذه التجربة كليا يقول:

أيها الموت! أيها القدر الأعمى قفوا حيث أنتم أو فسيروا

ودعونا هنا تغني لنا الأحلام، والحب والوجود الكبير [1]

الشابي يبدو متشائما ومتألما من هذا المرض حتى صار ينادي الموت الذي يراه قدر أعمى فيطلب منه الوقوف أو اليسر ليدعه يغني مع الأحلام والحب والوجود إذ أصبح هناك انفصال بين ذات الشاعر والواقع الذي يعيشه، وهو وجه خاص من وجوه الصراع مع الواقع وانقسام ذاتي لدى المبدع بين رفض الواقع وقبوله وبين الانقياد إلى ما هو كائن، والانجذاب إلى ما هو ممكن ومرغوب في تحقيقه، إذ يمكن لنا أن نوضح هذا من خلال الشكل التالي:

(1) أبو القاسم الشابي: الديوان، ص332.

انقسام ذات الشاعر

لهذا يعيش أبو القاسم الشابي غربة نفسية ومنفى داخليا تجسد واقعا معجوجا بالحزن والحسرة إلى أن لقاه شعور مأساوي حاد، فحتى الحب عنده حاصره الموت فما كان عليه إلا انتظار الفجر الآتي والصباح الذي تلوح منه بروق الأمل وها هو يقول:

يا بني أمّي! ترى أين الصباح؟ قد تقضي العمر، والفجر بعيد

أين نايي؟ هل ترامته الرياح أين غابي؟ أين محراب السجود

خبروا قلبي عما أقسى الجراح! كيف طارت نشوة العيش الحميد (1)

ونجده في قصيدة أخرى بعنوان: "في ظل وادي الموت" يقول:

هكذا قلت للرياح فقالت:

"**سل ضمير الوجود: كيف البداية؟**"

وتغشي الضباب نفسي، فصاحت

في ملال مرٍّ: "إلى أين أمشي؟"

قلت: "سيري مع الحياة ..." فقالت:

"**ما جنينا، تُرى، من السيّر أمس؟**

فتهافت كالهشيم، على الأرض

وناديت: "أين يا قلب رفشي؟"

"**هاته، علني أخط ضريحي**"

(1) أبو القاسم الشابي: الديوان، ص439.

في سكون الدجى وأدفن نفسي [1]

وهنا الشابي في صراع بين المرض والموت، فهو يتخيل نفسه في ظل وادي الموت فما غاية الدنيا والحياة، ففي النهاية ختامها هو الموت، إذ يسأل الرياح كيف هي ختام الرواية لتجيب عليه بأن يسأل ضمير الوجود كيف البداية حتى أصبحت نفسه حائرة إلى أين تمشي فهل تمشي مع الحياة، فيذهب ويسأل قلبه أين رشفه ليعطيه إياه علّه يخط ضريحه في سكون الليل ويدفن نفسه إذ أصبح يتمنى الموت. الموت الذي لا هروب منه فهو النهاية المحتومة لكل إنسان.

ونجده في أبيات أخرى من قصيدة "إلى الموت" يقول:

إلى الموت! إن شئت هون الحياة فخلف ظلام الرّدى ما تريد

إلى الموت يا ابن الحياة التعيس ففي الموت صوت الحياة الرخيم

إلى الموت! إن عذبتك الدهور ففي الموت قلب الدهور الرحيم

إلى الموت فالموت روح جميل يرفرف من فوق تلك الغيوم

فروحا بفجر الخلود البهيج وما حوله من بنات النجوم [2]

هنا ينصح الشابي كل إنسان يخاف من أهوان الحياة بالموت، ففي ذاك الظلام الدامس سيجد كل ما يريد.

فما دامت الحياة تعيسة فالموت هو صوتها وصورتها، وإذا كان الإنسان يعذبه الزمن فالموت هو قلب هذا الزمن وهي الروح الجميلة التي ترفرف من فوقها الغيوم، والموت هي الملجأ الوحيد وهي فجر الخلود.

ويمكننا من خلال هذا أن نوضح بالشكل الآتي:

(1) محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة، أبو القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، أكتوبر 1984، الجزء الأول، ص203.

(2) المرجع نفسه ، ص111، 112.

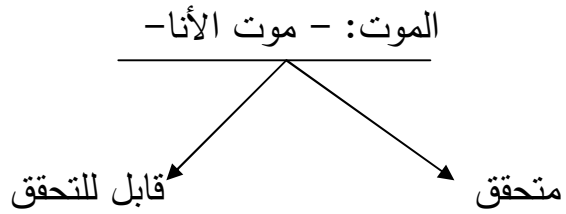

وهكذا تطبق المنية جفنيه، ويفترق الصحاب وينسيهم المرح وداعة وجهه وغناءه الجميل.

الخاتمة

خـــاتمة:

ها نحن ذا قد انتهينا من هذا البحث المتواضع الذي نرجو أن تستفيد منه الأجيال القادمة ولو بشيء بسيط وخلال هذا التحليل الذي قمنا به وهذه الدراسة توصلنا واستنتجنا من خلالها نتائج عدة نلخصها فيما يلي:

- إن شخصية أبي القاسم الشابي أسالت حبراً كثيراً عند العديد من الدارسين والباحثين وجعلته أسطورة في تاريخ الشعر العربي الحديث.
- أن شعر أبي القاسم الشابي كان متعدد الموضوعات وهذا راجع إلى اختلاف الظروف المحيطة به وكذلك لتأثره بالعديد من الشعراء واللغات الأجنبية.
- بروز أفكار الشابي تجسدت في مؤثرات داخلية وخارجية وهذا راجع إلى اختلاف في مصادر إلهامه الشعرية، فمن خلال تحليلنا لمعظم قصائد الشابي توصلنا إلى أن هناك عدة منابع دفعت إلى تكوين الشابي وبروزه وسط المجتمع العربي ألا وهي منابع طبيعية، منابع نفسية ومنابع اجتماعية.

فالمنابع الطبيعية اتضحت لنا من خلال استعمال الشابي لألفاظ من الطبيعة مثل: الغاب، الجبال، المياه، البساتين، التربة، العصافير، الصنوبر، البلابل، الربيع، الخريف ...

فكان اندماجه مع الطبيعة اندماجاً خلاّباً وهذا دلالة على أن الشابي كان عاشق للطبيعة، أما المنابع النفسية فتجسدت لنا من خلال القصائد التي تحدث فيها عن الموت المرض والذات، أما فيما يخص المنابع الاجتماعية فتجسدت في الظروف السياسية التي عاشها الشابي وسط المجتمع التونسي ومعاناة شعبه، كذلك المحيط الأسري الذي ترعرع فيه.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أهم مصدر في شعر الشابي وهو الرومنطقية حيث وجدنا هذه الأخيرة مهيمنة على شعره بكثرة، وكذلك باعتبار أن الشاعر رومانسي، وهذه الوجهة ساعدته على الهروب من الواقع وخاصة الواقع الكئيب.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وُفّقنا ولو بجزء ضئيل في إعطاء صورة واضحة عن منابع الإلهام الشعري عند أبو القاسم الشابي من خلال ديوانه " أغاني الحياة ".

ولله الحمد من قبل ومن بعد، فهو وليّ التوفيق والهادي إلى سواء السبيل والذي بنعمته نتسم الصالحات، فإن كنا وُفّقنا فذاك ما نرجو، وإن كنا أخطأنا فنسأل الله التوجيه والرشاد والله وراء القصد، والحمد لله في البدء والختام.

*** من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة ***

قائـــمة المصـــادر و المراجع

قـــائمة المصـــادر و المـــراجع

1- إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، طبعة التعاضدية العالمية للطباعة و النشر، صفاقس، تونس، العدد الأول، 1986.

2- أبو القاسم الشابي: ديوان أغاني الحياة، قدمه و شرحه: الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، دون تاريخ.

3- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب الحديث، دار الجيل للطبع و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1426 هـ/ 2005م.

4- خليفة محمد التليسي: الشابي و جبران، الدار العربية للكتاب، الطبعة الرابعة، 1298هـ/1978م.

5- زين العابدين السنوسي: الخيال الشعري عند العرب، دار النشر التونسية، 05 أكتوبر 1981.

6- عثمان موافي: في نظرية الأدب من قضايا الشعر و النثر في النقد العربي الحديث، دار المعرفة الجامعية، سويسرا، الاسكندرية، الطبعة الأولى، 2008.

7- فخري أحمد حسن طملية: أبو القاسم الشابي – دراسة في حياته و أدبه –، دون طبعة دون تاريخ.

8- فؤاد القرقوري: أهم مظاهر الرومانطيقية في الأدب العربي الحديث، التونسية للطباعة و فنون الرسم، جوان 1988.

9- محمد أمين الشابي: الأعمال الكاملة أبو القاسم الشابي، الدار التونسية للنشر، أكتوبر، 1984.

10- محمد فريد غازي: أبو القاسم الشابي من خلال يومياته، الدار التونسية للنشر، دون طبعة، 1983.

11- محمد هدارة: بحوث في الأدب العربي الحديث، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 1994.

12- نسيب نشاوي: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ديوان المطبوعات بجامعة الجزائر، 1984.

13- يوسف عطا طريفي: أبو القاسم الشابي- حياته وشعره -، الأهلية للنشر و التوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2009.

المعـــاجم:

1- ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1973.

2- ابن منظور الإفريقي المصري: لسان العرب، دار صبح، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 2006.

3- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: التراث في مؤسسة الرسالة ، طبعة فنية منقحة، مفهرسة، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 2005.

الفهرس

خطة العرض:

مقدمة .....أ

مدخل 2

الفصل الأول: حياة الشاعر أبي القاسم الشابي.....8

أولا: شخصية أبي القاسم الشابي.....9

1- مولده ونشأته.....9

2- شخصيته.....10

3- ثقافته.....11

4- وفاته.....12

ثانيا: أهم مؤلفاته:.....13

1- أغاني الحياة.....13

2- الخيال الشعري عند العرب.....14

3- رسائل الشابي.....17

4- خصائصه وميزاته.....19

5- مراحله.....21

6- دوره في التراث العربي.....23

الفصل الثاني: ماهية المنبع و المؤثرات فيه.....26

أولا: قراءة في ماهية المنبع و المؤثرات فيه.....27

أ- المنبع.....27

ب- الإلهام.....28

ج- الشعر.....30

ثانيا:

المؤثرات الفكرية الداخلية والخارجية للشابي من خلال: "أغاني الحياة".....33

أ- المؤثرات الداخلية: [نفسية الشاعر].....36

ب- المؤثرات الخارجية: [المجتمع، المذهب الرومانسي].....36

الفصل الثالث:

مصادر إلهام أفكار الشابي من خلال: "أغاني الحياة".....44

1- الرومانطيقية: (التشاؤم، الألم، التفاؤل، الرمز).....45

2- الطبيعة.....63

3- المجتمع (الاستعمار).....68

4- الأسرة.....73

5- الذات.....79

خاتمة.....87

المصـــادر و المـــراجع.....90